القوافي

مجلة شهرية تصدر عن دائرة الثقافة بالشارقة
السنة الرابعة - العدد (33) - مايو 2022

تُعنى بالشعر والأدب العربي

شعراء مدارس..
عبقريات فذّة ممتدّة الظلال

فاس المغربية..
ربوع المجد وزهرة الآداب

أحمد سويلم:
التجريب في الشعر إبداع بلا نهاية

ابن خفاجة..
أضاء شعره سماء الأندلس



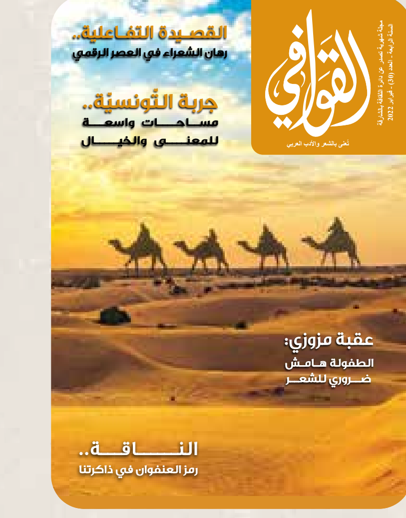
الظَّمأ في قصائد الشعراء.. حبّ وتوق إلى الحياة



إصدارات مجلة القوافي











ص.ب: 5119 الشـــارقـة - الإمـــارات العـــربيـة المتحـــدة
الهاتف: 5683399 6 971+ البرّاق: 5683700 6 971+
البريد الإلكتروني: qawafi@sdc.gov.ae
الموقع الإلكتروني: www.sdc.gov.ae
poetryhouseshj

ظواهر شعرية خالدة

التقنيات الجمالية للنصّ الشعريّ، تتفاوت بحسب ما يثيره الخيال والإشكالات المتعلقة بالصورة، وفرادة الإيقاع في نفوس المتلقّين؛ فالمسار الإبداعي هو الذي يوظف العناصر التعبيرية والأسلوبية، ليكون التدفق معبّراً في النهاية عن شعرية خاصة، لذا نجد أن المجازات الشعرية التي قدمها الكثير من مبدعي هذا الفن عبر العصور، أكدت حضورهم الفائق، فهم بهذه القدرات الدالّة في الابتكار، استطاعوا أن يكوّنوا مدارس شعرية لها مريدوها؛ فالشاعر المدرسة لديه منظور أوسع للتأويل والإبداع المكتشف الذي يميّزه من غيره، في الصورة والمجاز والحسّ التركيبي؛ و«القوافي» في هذا العدد تضيء على النماذج الطليعية من الشعراء الذين زوّدوا الحياة الثقافية بأطر غير مسبوقة في الشعرية العربية، حتى أصبحوا ظواهر لا تتقادم. إلى جانب ذلك فإن هناك تجارب حقيقية في الشعر العربي، مؤثرة تتوزّع على امتداد جغرافية القريض، ما جعلها شديدة القرب من المتلقّي، بما حملت من أسماء تمثل ذروة الهرم الشعري في المشهد الثقافي.

وفي الوقت نفسه تطرح موضوعات متجددة، مثل رمزية الزّمن في الشعر بأشكاله المرنة في الدلالة والمجاز، وكيف طوّعت فكرة الزمن بصيغ مختلفة في إطار السياقات الإبداعية. وترصد «القوافي» رمزية الظّمأ في المخيال الشعري العربي، كون الظّمأ وما يليه من أمنيات تولّد طاقة الحب والتوق إلى الحياة معادلاً للحماسة، وما يحتمله المجاز في هذا السياق الدّرامي العذب الذي يمثل رحيق الأمل في الجدب والتشتّت في مراحل اعتصار الروح، في جدليات مفتوحة تقتحم وجدان الشعراء بمفارقات موظفة؛ وهنا تكمن الأهمية الجمالية لرمزية الظمأ في النصّ الشعري المتحرّر من الخلخلة والاضطراب.

ومع تألّق الشعراء وامتلاكهم القدرة التعبيرية الفائقة، جرّب كثير منهم حقولاً إبداعية جديدة، لا تتعارض مع رؤاهم التأمّلية للنصوص بأشكالها المتعارف عليها، فطوّعوا كثافتهم التعبيرية في كتابة أنساق روائية مستحدثة، بمصطلحات وآليات جديدة. فقد صدر الكثير من الروايات في الآونة الأخيرة التي تحمل توقيع شعراء أصحاب أسماء رنّانة، كما جرت هذه التجارب في مراحل زمنية سابقة أيضاً.

وتستمر «القوافي» في طرح كشوفها الجمالية على المشهد الثقافي، حيث تواصل رحلتها في مدن القصيد، فتطلّ على مدينة بابل العراقية التي حلّقت فوق ربوعها شمس الحضارة والأمجاد الشعرية العتيقة، فضلاً عن الغوص في عوالم ابن خفاجة الذي أضاء شعره سماء الأندلس، ومحاورة أسماء شعرية مهمة مثل الشاعر الكبير أحمد سويلم، والتطرّق لإبداعات الشعراء بالنشر المتواصل، والوقوف على التجارب البازغة في الشعر الحديث بالتحليل والنقد، من باب استحضار جماليات أخرى في الحياة الثقافية.

أمّا قبل



مجلة شهرية تُعنى بالشعر و الأدب العربي
تصدر عن دائرة الثقافة
العدد (33) - **مايو** 2022



الأسعار :

- الإمارات: 5 دراهم
- البحرين: 500 فلس
- سلطنة عمان: 0.500 ريال
- الأردن: ديناران
- المغرب: 15 درهما
- السعودية: 10 ريالات
- الكويت: 0.500 دينار
- مصر : 5 جنيهات
- تونس: 3 دنانير
- قطر: 5 ريالات

وكلاء التوزيع:

- الإمارات : شركة توزيع، الرقم المجاني : 8002220
- السعودية : الشركة الوطنية للتوزيع - الرياض- هاتف : 966114871414+
- البحرين : مؤسسة الأيام للنشر، المنامة - هاتف : 97337617733+
- الكويت : مجموعة النظائر الإعلامية، الكويت، هاتف : 96524746500+
- سلطنة عُمان: المتحدة لخدمة وسائل الإعلام - مسقط - هاتف: 96824700895+
- مصر : مؤسسة الأهرام للتوزيع : القاهرة، هاتف : 20233704333+
- الأردن : وكالة التوزيع الأردنية : عمّان - هاتف : 96335358855+
- تونس : الشركة التونسية للصحافة -تونس - هاتف : 20233704333+
- المغرب: سوشبرس للتوزيع - الدار البيضاء - هاتف: 213323389121+
- قطر: شركة توصيل- الدوحة، هاتف: 97444557810+

عناوين المجلة

الإمارات العربية المتحدة، حكومة الشارقة
دائـــرة الثقـــافة
ص.ب: 5119، الشارقـة
هاتف : 97165683399+
برّاق : 97165683700+
Email: qawafi@sdc.gov.ae
poetryhouse@sdc.gov.ae
WWW.sdc.gov.ae



شعراء العدد:

إبراهيم السالمي
إبراهيم توري
حسن طواشي
منير خلف
أحمد سويلم
الشيخ نوح
عبدالسلام العبوسي
عبدالله السالم المعلى
سمية اليعقوبي
حسام شديفات
عضيب عضيبات
وداد العاقل
مردوك الشامي
حمد العسعوس
ناهدة شبيب
زيد صالح
علي المنكوتة الزهراني
محمد العموش
محمد الساق
مؤيد نجرس
الشاذلي القرواشي

يا دارَ فوزٍ

العبّاس بن الأحنف

العصر العباسي

يا دارَ فَوْزٍ لَقَدْ أَورَثْتِني دَنَفا
وَزادَني بُعْدُ داري عَنْكُمُ شَغَفا

حَتّى مَتى أَنا مَكْروبٌ بِذِكْرِكُمُ
أُمْسي وَأُصْبِحُ صَبّاً هائِماً دَنِفا

لا أَسْتَريحُ وَلا أَنْساكُمُ أَبَداً
وَلا أَرى كَرْبَ هَذا الحُبِّ مُنْكَشِفا

ما ذُقْتُ بَعْدَكُمُ عَيْشاً سُرِرْتُ بِهِ
وَلا رَأَيْتُ لَكُم عِدْلاً وَلا خَلَفا

إِنّي لَأَعْجَبُ مِنْ قَلْبٍ يُحِبُّكُمُ
وَما رَأى مِنكُمُ بِرّاً وَلا لَطَفا

لَوْلا شَقاوَةُ جَدّي ما عَرَفْتُكُمُ
إِنَّ الشَّقِيَّ الَّذي يَشْقى بِمَنْ عَرَفا

مازِلْتُ بَعْدَكُمُ أَهْذي بِذِكْرِكُمُ
كَأَنَّ ذِكْرَكُمُ بِالقَلْبِ قَدْ رُصِفا

يا لَيْتَ شِعْري وَما في لَيْتَ مِنْ فَرَجٍ
هَلْ ما مَضى عائِدٌ مِنكُم وَما سَلَفا

إِصرِفْ فُؤادَكَ يا عَبّاسُ مُنْصَرِفاً
عَنْها يَكُنْ عَنْكَ كَرْبُ الحُبِّ مُنْصَرِفاً

لَو كانَ يَنْساهُمُ قَلْبي نَسيتُهُمُ
لَكِنَّ قَلْبي لَهُم وَاللَهِ قَدْ أَلِفا

أَشْكو إِلَيْكِ الَّذي بي يا مُعَذِّبَتي
وَما أُقاسي وَما أَسْطيعُ أَنْ أَصِفا

يا هَمَّ نَفْسي وَيا سَمْعي وَيا بَصَري
حَتّى مَتى حُبُّكُم بِالقَلْبِ قَدْ كَلِفا

ما كُنْتُ أَعْلَمُ ما هَمٌّ وَما جَزَعٌ
حَتّى شَرِبْتُ بِكَأسِ الحُبِّ مُغْتَرِفا

ثارَتْ حَرارَتُها في الصَّدْرِ فَاشْتَعَلَتْ
كَأَنَّما هِيَ نارٌ أُطْعِمَت سَعَفا

طافَ الهَوى بِعِبادِ اللَهِ كُلِّهِمِ
حَتّى إِذا مَرَّ بي مِنْ بَيْنِهِمْ وَقَفا

إِذا جَحَدْتُ الهَوى يَوْماً لِأَدْفِنَهُ
في الصَّدْرِ نَمَّ عَلَيَّ الدَّمْعُ مُعْتَرِفا

لَمْ أَلْقَ ذا صِفَةٍ لِلْحُبِّ يَنْعَتُهُ
إِلّا وَجَدْتُ الَّذي بي فَوْقَ ما وَصَفا

يُضْحي فُؤادي بِهَذا الحُبِّ مُلْتَحِماً
وَقِفاً وَيُمْسي عَلَيَّ الحُبُّ مُلْتَحِفا

ما ظَنُّكُمْ بِفَتىً طالَتْ بَلِيَّتُهُ
مُرَوَّعٍ في الهَوى لا يَأمَنُ التَّلَفا

يا فَوْزُ كَيْفَ بِكُمْ وَالدّارُ قَدْ شَطَحَتْ
بي عَنْكُمُ وَخروجُ النَّفْسِ قَدْ أَزَفا

قَدْ قُلْتُ لَمّا رَأَيْتُ المَوْتَ يَقْصِدُني
وَكادَ يَهْتِفُ بي داعِيهِ أَوْ هَتَفا

أَموتُ شَوْقاً وَلا أَلْقاكُمُ أَبَداً
يا حَسْرَتا ثُمَّ يا شَوْقاً وَيا أَسَفا

شكلوا صوراً بلاغيه لا تتجاوزها الأزمان

شعراء مدارس..

عبقريات فذّة ممتدة الظلال



د. حنين عمر
الجزائر

عرف الشعر العربي على امتداد عصوره، ظهور شعراء تجاوزوا غيرهم في مضمار القصيدة، وكانوا نجوماً عالية يشعّ لمعانها على كل ما حوله في سماء الأدب، إذ لم يقدموا نصوصاً خالدة فحسب، ولم يكونوا مجرد أسماء شهيرة ومهمة مكتوبة بحروف مضيئة لا يمكن أن تذروها رياح الزمان، ولا أن تمحوها يد النسيان، إنّما كانوا أكثر من ذلك؛ كانوا «مدارس» شعرية أسّست أساليب نصية وبلاغية وتركيبية في الشعر، وتحولت نصوصها إلى أرضية خصبة للاقتباس والتضمين، وإعادة إنتاج بلاغات النصّ الشعري العربي.





مخطوط كتاب الشعر والشعراء لعبدالله بن مسلم بن قتيبة

تجاربهم يتناقلها مئات الشعراء اللاحقين

ولا يمكن الحديث عن ظاهرة «الشاعر المدرسة» إلّا إذا توافرت خصائص معيّنة لديه، ليس أهمها الشهرة، بل لعلّها آخر خاصية يمكن الحديث عنها، ولكن أهمّها الإضافة الثمينة التي يقدمها، ومدى تأثيره في تكوين النصّ الشعري لدى من جاؤوا بعده، وقيمة التجديد والتطوير الذي أدخله على القصيدة العربية، سواء بالجماليات اللغوية والصور الشعرية، أو بالمبنى والمواضيع، ولهذا جاءت تسميتهم اصطلاحاً في هذا المبحث بالشعراء «المدارس»، لأنهم أسّسوا بمفردهم مدارس شعرية لها خصائصها وقواعدها وتميّزها، وتفتح أبوابها ليتعلم من تجربتها ويتناقل أسلوبها مئات الشعراء اللاحقين، فتنعكس ظلالها عليهم وعلى نصوصهم بوضوح، بعيداً من مصطلح المدرسة الشعرية بمعناه التقليدي الذي يجمع تحت مظلته عدداً من الشعراء، ممن ينتجون معاً نصوصاً تتشابه في خصائص معينة.

ومن البدهي ألّا يكون عدد الشعراء «المدارس» كبيراً على مرّ العصور، كما هي عادة الموارد الثمينة في الطبيعة، فهو مصافّ لا يصل إليه إلّا من تخطّى ما يناله الشعراء العاديون والمجيدون من انتشار ومكاسب على حدود جغرافية القصيدة، وهم قلّة قليلة من أصحاب الفضل في اكتشاف آفاق لم يصل إليها أحد قبلهم في تاريخ الشعر، وتأثيراتهم الإبداعية أكبر من أن يمكن حصرها في الماضي وتوقعها في المستقبل. وسنستعرض في ما يأتي أربعة من هؤلاء القامات الشعرية من مختلف العصور، ممّن أثروا في تشكل كينونة القصيدة العمودية بشكل خاص.

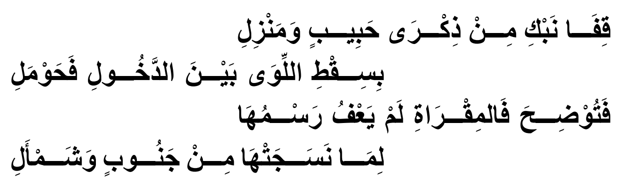
امرؤ القيس: أوّل من بكى واستبكى

يعدّ الشاعر الجاهلي امرؤ القيس، أقدم شاعر استطاع تأسيس مدرسة شعرية حقيقية بمعناها الواضح؛ فقد كان له تأثير لا حدود له في البناء النصّي لأغلب الشعراء الذين جاؤوا بعده، رغم أنه لم يعمّر طويلاً، فقد ولد عام 501، وتوفي عام 544 للميلاد، وهو ما يزال شاباً، لكن ذلك لم يمنعه من أن يترك أثراً عميقاً في الشعرية العربية على مستويين، الأول: الصورة الشعرية وجمالياتها اللغوية، كقوله العجيب في وصف الخيل:

مِكَـرٍّ مِفَـرٍّ مُقْبِـلٍ مُدْبِـرٍ مَعـاً
كَجُلْمـودِ صَخْـرٍ حَطَّهُ السَّـيْلُ مِنْ عَلِ

والثاني: البناء النصّي، إذ يعدّ، بحسب النقاد «أوّل من بكى واستبكى» وأوّل من وضع قواعد المقدمة الطللية، ويعدّ مطلع معلقته الشهيرة شاهداً على ذلك؛ إذ يقول فيها:





قِفَـا نَبْكِ مِـنْ ذِكْـرَى حَبِيـبٍ وَمَنْزِلِ
بِسِـقْطِ اللِّوَى بَيْـنَ الدَّخُـولِ فَحَوْمَلِ
فَتُوْضِـحَ فَالمِقْـرَاةِ لَمْ يَعْفُ رَسْـمُهَا
لِمَـا نَسَـجَتْهَا مِـنْ جَنُـوبٍ وَشَـمْأَلِ

وتعدّ مقدمته هذه وفق ما جاء عن ابن رشيق: «أفضل ابتداء صنعه شاعر، لأنه وقف واستوقف، وبكى واستبكى، وذكر الحبيب والمنزل في مصراع واحد». وهو كلام دقيق إذا أخذنا في الحسبان، أن الشاعر لم يكتف بوضع قواعد المقدمة الطللية التي نسج عليها أغلب الشعراء بعده فقط، ولكنه ألقى بظلاله على ما سيأتي بعدها أيضاً، وهي المقدمة الغزلية. ويرى ابن سلّام الجمحي، في كتابه «طبقات الشعراء» أن امرأ القيس «سبق العرب إلى أشياء ابتدعها، استحسنتها العرب واتبعته فيها الشعراء؛ منها: استيقاف صحبه، والبكاء في الديار، ورقّة النسيب وقرب المأخذ».

عددهم ليس كبيراً على مدى العصور

ويفسر ابن قتيبة ظاهرة انتشار المقدمة الطللية بقوله «سمعتُ بعض أهل العلم يقول إن مقصد القصيد إنّما ابتدأ فيها بذكر الديار والدّمن والآثار، فشكا وبكى وخاطب الربع واستوقف الرفيق؛ ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها، إذ كان نازلة العَمَد في الحلول والظعن، على خلاف ما عليه نازلة المَدَر؛ لانتجاعهم الكلأ وانتقالهم من ماء إلى ماء، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان». وملخص قوله هذا هو أنها كانت حاجة إنسانية واجتماعية لدى شعراء ذلك العصر ووجدوا فيها طريقة للتعبير عن ذواتهم ومجتمعهم وطرائق حياتهم.



أما عن الرأي الذي يرى أن امرأ القيس، لم يكن أول من بكى على الأطلال، وينسبون ذلك إلى ابن حذام الذي لا نعرف عنه شيئاً، مستشهدين ببيته الذي يقول فيه:

عُوجا على الطَّلَلِ المُحيلِ لَعَلَّنا
نَبْكي الدِّيارَ كَما بَكى ابنُ حِذامِ

فإن الرد على هذا الرأي قد يكون أسهل بكثير مما أثاره من جدل، وذلك لسببين، أولهما: أن ابن حذام هذا لم يرد من شعره شيء – أي أن وجوده لا أساس له سوى بيت شعر يتيم؛ فهل يعقل أن يكون شاعراً مهماً لدرجة أن يقلده امرؤ القيس ويذكره في الوقت نفسه، لكن لا يصلنا نصّ واحد من نصوصه ولا خبر أكيد عنه، رغم وصول أخبار شعراء أقدم منه؟ بل إن اسمه أساساً مختلف عليه فيرد على أكثر من وجه، فيروى حذام تارة وأخرى خذام أو حمام؛ فأي شاعر مهم هذا الذي ليس له اسم ثابت؟ أما السبب الثاني فهو – إن افترضنا صحة وجود شخصية ابن حذام – فإن بكاءه على الأطلال المذكور عنه قد لا يكون المقصود به بكاءه شعراً، فلعله بكاء حقيقي لشخص ما تأثر الشاعر بفجيعته في بكاء دياره، وقد يكون شخصية شعبية من مثل أو قصة كانت تروى بين العرب واندثر ذكرها؟ وقد يكون اسم حيوان لأن العرب كانت تطلق أسماء شبيهة على الحيوانات نحو ابن آوى وأبي فراس وأم عامر وغيرها، وكثيراً ما خاطب الشعراء الحيوانات في نصوصهم وشبهوا بها في أكثر من أمر يخصّ الأطلال، كالغراب والحمام.

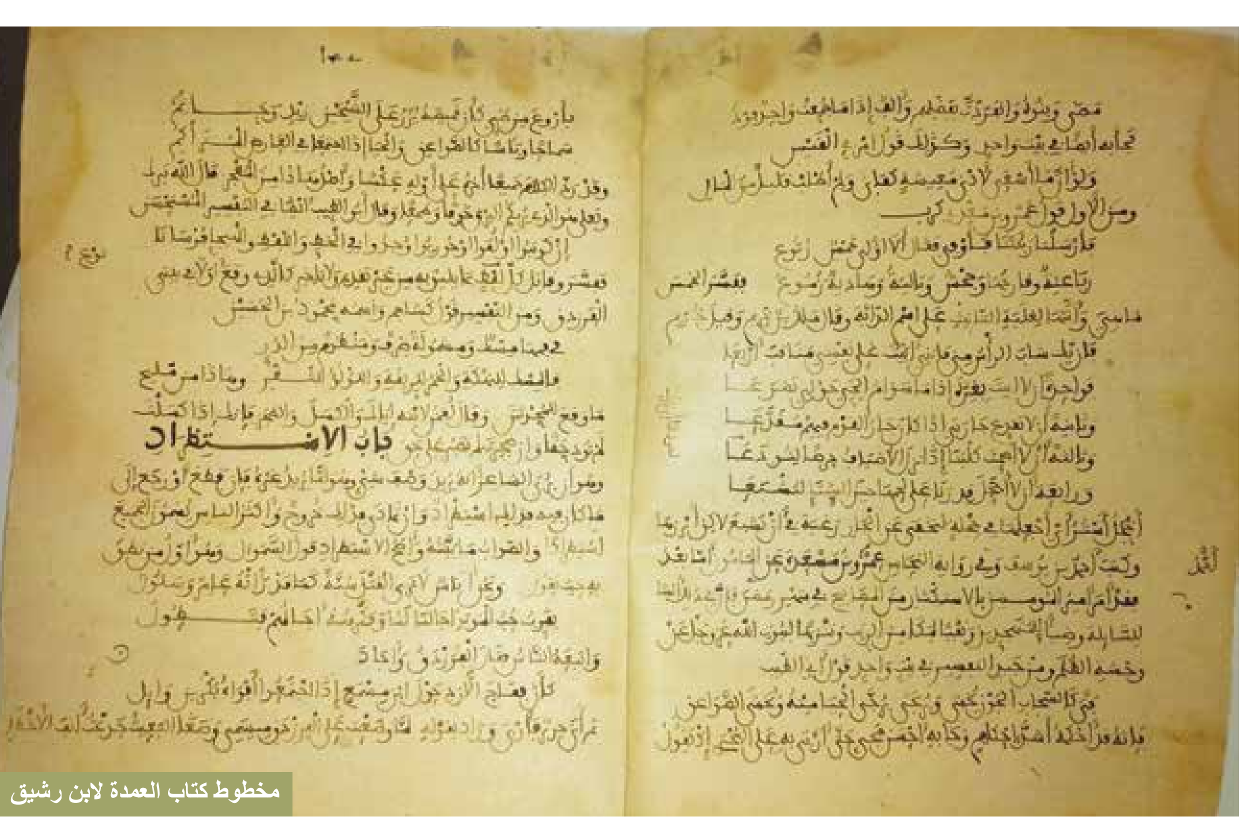
اكتشفوا آفاقاً شعرية
لم يصل إليها أحد قبلهم

وعلى كلّ فإنّ ما لا دليل عليه لا يعتدّ به علمياً، وحتى هذه اللحظة، فإن الأدلة كلها في صفّ امرئ القيس، ليس في ريادته مؤسساً للمقدمة فقط، إنما في تأثيره الشعري على من جاؤوا بعده؛ فجملته « قفا نبك» ضُمنت في عدد هائل من نصوص الشعراء منذ عصره وحتى يومنا هذا، واقتُبس شعره في مئات القصائد القديمة والمعاصرة، وانتهج نهجه الشعري من لغة وصورة وبناء عشرات الشعراء الذين أكدوا مدى التأثير الكبير الذي تركه الملك الضلّيل فيهم، فنجد على سبيل المثال الشاعر ابن نباتة المصري يقول:

فَقُلْتُ لِجَفْنَيَّ البعيدِ كَراهُما
قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرى دِيارٍ وجِيرانِ

أما الشاعر المصري الشهير حافظ إبراهيم فيقول:

قِفا نَبْكِ أو نَضْحَكْ على أيِّ حالةٍ
قِفا صاحبيَّ اليَوْمَ مِنْ عَجَبٍ قِفا


مخطوط كتاب العمدة لابن رشيق


الجواهري

كما تجدر الإشارة في الأخير أيضاً إلى شخصية امرئ القيس، وقصة حياته المأساوية التي أدّت دوراً كبيراً في جعله شاعراً استثنائياً في تاريخ الشعر العربي.

مدرسة المتنبّي: الظاهرة المدهشة

أما في العصر العباسي وما تلاه، فيتربّع المتنبّي على عرش «ظاهرة الشاعر المدرسة»؛ فهو أكثر شاعر أسّس بنصوصه وجدان الشعراء الذين جاؤوا بعده، فأصبح بعضهم تلاميذ في مدرسته، يدخلونها في بداياتهم بشكل خاص وقد يبقون فيها طويلاً، وتتأثر نصوصهم الأولى وحتى اللاحقة بظلال نصوصه وصوره ومعانيه، وقد حاول النقاد تفسير هذه الظاهرة على مرّ العصور، لكنها بقيت عصيّة على الفهم، وجاءت بتفسيرات كثيرة مختلفة أجمعت معظمها على شيء واحد، وهو عبقرية الشاعر وقدرته على صياغة معانٍ لم يأت أحد من قبله بها.

وقد ولد أبو الطيّب، عام 915 للميلاد، وقتل في 23 من سبتمبر عام 965 للميلاد، وخلال حياته الملأى بالأحداث نال شهرة واسعة، وظل محافظاً على ريادته بعد وفاته، فيحضر في شكل لمحات نصّية أو إشارات شخصية في نصوص جديدة لأجيال جديدة، كأنه همزة وصل بين الماضي والحاضر، الماضي بكل موروثه الثمين والحاضر بكل تطلعاته نحو تجاوز هذا الماضي.

طوّروا بوَعيٍ في بنية القصيدة العربية

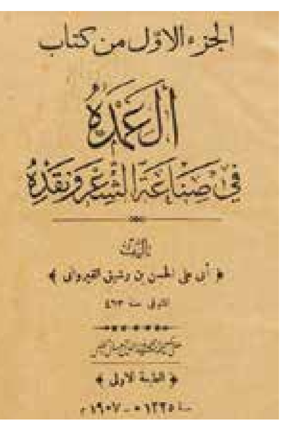
ومن الإشارات إلى شخصية المتنبّي وتبيان مدى تأثيره مدرسةً شعريةً، يمكن ضرب مثال بقصيدة الأخطل الصغير، التي نظمها عنه، ويقول فيها على لسان الجن:

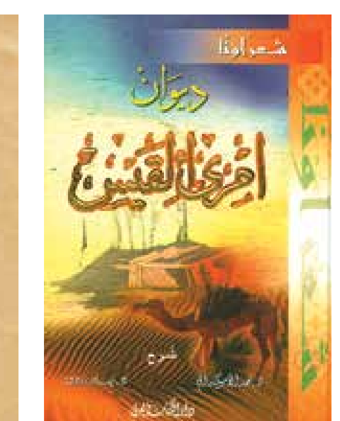
واخْتالَ غَيْرَ قَليلٍ ثُمَّ قالَ لَهُمْ
سَمَّيْتُهُ المُتَنبّي فانْتَشَوْا طَرَبا
وزَلْزَلُوا الْبيدَ حتّى كادَ سالِكُها
يَهْوي بِهِ الرَّحْلُ لا يَدْري لهُ سَبَبا

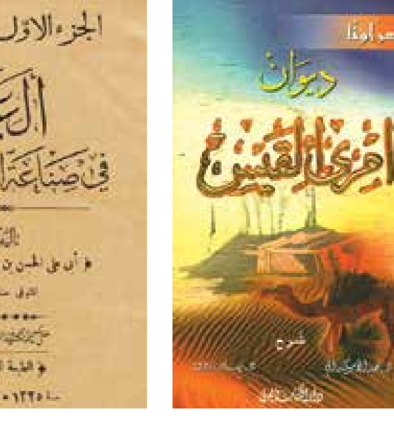
فالأغلبية من الشعراء معجبون بما حققه وراغبون في إيجاد الخلطة السرية التي مكّنته من الوصول إلى ما هو فيه، وخلال ذلك يتشرّبون من نصوصه ويمتصّونها فتؤثر فيهم وينتمون إلى مدرستها عن وعي منهم أحياناً، وبلا وعي أحياناً أخرى.

أما الإشارة إلى نصوصه واقتباس صوره وأبياته، فالأمثلة عليها أكثر من أن نعدّها، لأننا سنجد منها ما لا يمكن حصره في أغلب الدواوين الشعرية المعاصرة. ولكن لعلّ أكثر بيت من أبياته حضوراً وتأثيراً هو:

الْخَيْلُ واللَّيْلُ والْبَيْداءُ تَعْرِفُني
والسَّيْفُ والرُّمْحُ والقِرْطاسُ والقَلَمُ







إذ نجد أن هذا البيت ضمّنه عدد كبير من الشعراء، واقتبسوه مئات المرات، وكأن المتنبّي حاضر لم يغب قط، من ذاكرة الشعر، فضلاً عن كونه أكثر الشعراء الذين ظلت أبياتهم منتشرة على ألسنة الناس وحيّة في يومياتهم، ومن ثمّ كان منطقياً أن يظلّ تأثيره متواصلاً وقوياً. لكن من جهة أخرى لا بدّ من الإشارة إلى خاصية مهمة في شعره، وهي تحديث الصور الشعرية؛ فالدارس لنصوصه سيجدها دائماً قادرة على إنتاج بعد إبداعي غير مسبوق ومتماشٍ مع كل العصور حتى الآن. فنصّ المتنبّي متجدّد لا يبلى ولا يتجاوزه الزمن، بل يتجاوز هو الزمن بشكل دائم. إنه حيّ نابض متدفق لا ينضب، ما يضاعف تأثيره في تاريخ الشعرية العربية، وهو تأثير أسلوبي وبنيوي، من المتوقع له أن يستمر طويلاً في إثارة الجدل، وكأنه جاء ليحقق نبوءة المتنبي عن نفسه التي يقول فيها:

أَنامُ مِلْءَ جُفوني عَنْ شَوارِدِها
وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرّاها وَيَخْتَصِمُ



متحف أحمد شوقي

شكلوا كينونة القصيدة العمودية بشكل خاص

مدرسة أحمد شوقي: أمير الشعراء

وفي العصر الحديث نجد أن أحد أهم الشعراء الذين تنطبق عليهم خصائص ظاهرة «الشاعر المدرسة» أحمد شوقي، أمير الشعراء، الذي ولد عام 1870 في القاهرة، وبدأت رحلته مع الشعر باكراً، ليتحول إلى قامة أدبية لها ريادة في الشعر والمسرح. ومن خصائص شعره البارزة التي يمكن ملاحظتها بقوة، الروح النهضوية والتجديدية التي أدخلها على القصيدة العمودية، وكان أكثر أغراضه في المديح والرثاء والغزل. ومن أشهر قصائده في المديح التي مدح فيها النبي عليه الصلاة والسلام وعنوانها «نَهْج البُرْدة» التي نظمها على منوال «بُرْدة» البوصيري الشهيرة ويقول في مطلعها:

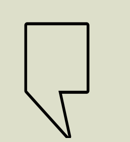
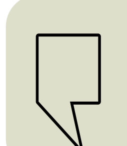
ريمٌ عَلى القاعِ بَيْنَ البانِ وَالعَلَمِ
أَحَلَّ سَفكَ دَمي في الأَشهُرِ الحُرُمِ
رَمى القَضاءُ بِعَينَيْ جُؤذَرٍ أَسَداً
يا ساكِنَ القاعِ أَدْرِك ساكِنَ الأَجَمِ

ومن قصائده الشهيرة جداً، قصيدة غزلية رقيقة المعاني ومسبوكة اللغة يعارض فيها قصيدة الحصري القيرواني، وهي التي يقول فيها:

مُضْناكَ جَفاهُ مَرْقَدُهُ
وَبَكاهُ وَرَحَّمَ عُوَّدُهُ
حَيْرانُ القَلْبِ مُعَذَّبُهُ
مَقْروحُ الجَفنِ مُسَهَّدُهُ

وقد نسج كثير من الشعراء نصوصاً على منوالها، (هو نسجها معارضاً الحصري القيرواني، ولم يكن مبدعها). وكان أحمد شوقي مؤثراً فعلياً في وجدان جيل كامل، ليس بسبب جماليات شعره التي كانت غير مسبوقة في ذلك الوقت فقط، بل بسبب جهد بذله هذا الشاعر في الإخلاص للشعر، والاجتهاد في بناء سيرة شعرية مشرفة أيضاً. ولعله النموذج الأكثر مثابرة واصراراً في تأسيس مدرسته الشعرية، مقارنة بشعراء سبقوه أو جاؤوا بعده، لأنه أضاف إلى موهبته ثقافة واسعة واطلاعاً. وتبدو على نصوصه ملامح العمل الشاق في نحت اللغة والصور، ففتح أفقاً للاجتهاد في هذا الباب، إلّا أن الاجتهاد وحده لا يكفي ليكون المرء ذا تأثير في الوسط الأدبي، إذ يجب أن يقترن بموهبة فذّة وروح متجددة قادرة على تأسيس نهج شعري واضح الملامح وممتد الظلال، ينعكس أسلوبه الخاص على نصوص غيره، وهو ما اجتمع لدى أحمد شوقي خلال حياته.



امرؤ القيس أقدم شاعر أسّس مدرسة حقيقية

مدرسة الجواهري: سادن اللغة

يعدّ الجواهري أحد أهم المدارس الشعرية في العراق، خصوصاً، والعالم العربي عموماً، ولعلّه أقرب النماذج إلى العصر الحالي، وما تزال تأثيراته واضحة جداً في نصوص الشعراء المعاصرين، ويمكن بسهولة استشفافها في شكل لمحات وصور وتراكيب لغوية يكتبها شعراء انضموا إلى مدرسته وتأثروا بأسلوبه، ورغم أن مدرسة الجواهري لم تنتشر كثيراً خارج العراق، ولم يحتف بها النقاد العرب بما يلق بها، فإنها ظلت حاضرة وقوية، فيقول عنها الناقد جبرا إبراهيم جبرا «لقد تغلغل شعر محمد مهدي الجواهري في النفس العربية في العراق، بيسر وعلى مهل، عبر ما يربو على أربعين عاماً من تاريخ العراق الحديث، حتّى غدا جزءاً من التجربة العاطفيّة والذهنيّة والسياسيّة للأمّة كلّها، مهما تتباين مواقف الأفراد من الشاعر نفسه.»

ومن الواضح هنا أن الناقد يعي مدى تأثير أسلوب الجواهري في الشعر، فأراد تقديم شهادة بحقه، حتى إن كان نقاد آخرون يتهمون الجواهري بالكلاسيكية وبأن أسلوبه لم يعد مستساغاً في العصر الحديث، إلّا أن هؤلاء مخطئون تمامًا إذ لم يطلعوا على تلك النصوص التي كتبها الجواهري، وكان فيها تحديث حقيقي وطفرة نوعية في تجديد النصّ الشعري العمودي، دون التخلي عن قوة اللغة وجزالة ألفاظها وجمالية صورها، كقوله:

هَـــذا أنـــا.. عَظْـــمُ الضَّحيّـــةِ ريشـــتي
أبـــداً ولَفْـــحُ دمائهـــا أضْوائـــي
أسْـــتَلْهِمُ النَّغَـــمَ الخَفِـــيَّ يَمـــوجُ فـــي
جُـــرْحِ الشّـــهيدِ بثـــورةٍ خَرْســـاءِ

أما من أبياته الشهيرة، التي دخلت عالم التضمين والاقتباس، فقوله:

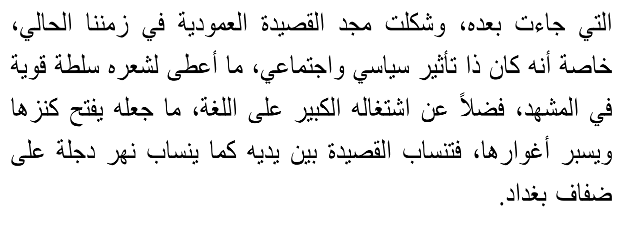
فـــي ذِمَّـــةِ اللهِ مـــا ألْقَـــى ومـــا أجِدُ
أهـــذِهِ صَخْـــرةٌ أمْ هـــذِه كبِـــدُ
قـــدْ يقتُـــلُ الحُزنُ مَـــنْ أحْبابُـــهُ بَعُدوا
عَنْـــهُ فَكَيْـــفَ بِمَـــنْ أحْبابُـــهُ فُقِـــدوا

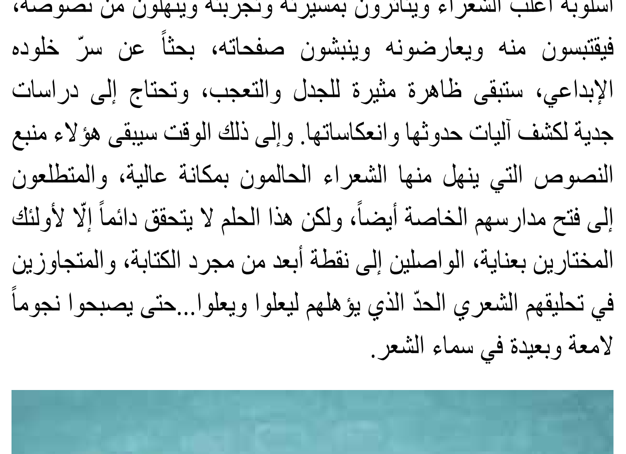
وكان أسلوب الجواهري من أكثر الأساليب التي قلّدت شعرياً في مرحلة من تاريخ العراق، بل وألقى ظلاله على كثير من التجارب الرائدة التي جاءت بعده، وشكلت مجد القصيدة العمودية في زمننا الحالي، خاصة أنه كان ذا تأثير سياسي واجتماعي، ما أعطى لشعره سلطة قوية في المشهد، فضلاً عن اشتغاله الكبير على اللغة، ما جعله يفتح كنزها ويسبر أغوارها، فتنساب القصيدة بين يديه كما ينساب نهر دجلة على ضفاف بغداد.

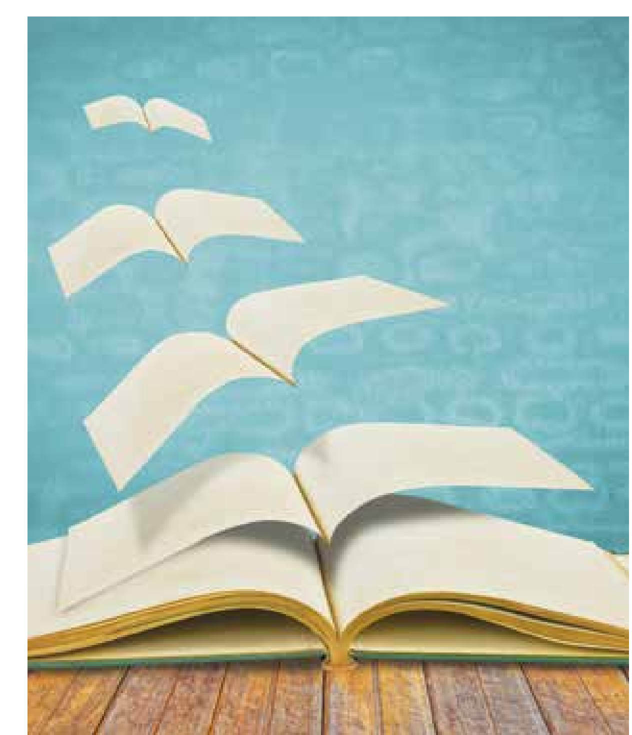


الجواهري من أكثر من قلّدهم الشعراء

وفي النهاية يمكن القول إن ظاهرة «الشاعر/المدرسة»، الذي يقلّد أسلوبه أغلب الشعراء ويتأثرون بمسيرته وتجربته وينهلون من نصوصه، فيقتبسون منه ويعارضونه وينبشون صفحاته، بحثاً عن سرّ خلوده الإبداعي، ستبقى ظاهرة مثيرة للجدل والتعجب، وتحتاج إلى دراسات جدية لكشف آليات حدوثها وانعكاساتها. وإلى ذلك الوقت سيبقى هؤلاء منبع النصوص التي ينهل منها الشعراء الحالمون بمكانة عالية، والمتطلعون إلى فتح مدارسهم الخاصة أيضاً، ولكن هذا الحلم لا يتحقق دائماً إلّا لأولئك المختارين بعناية، الواصلين إلى نقطة أبعد من مجرد الكتابة، والمتجاوزين في تحليقهم الشعري الحدّ الذي يؤهلهم ليعلوا ويعلوا...حتى يصبحوا نجوماً لامعة وبعيدة في سماء الشعر.







أضفى عليه الشعراء بريقاً في الدوريات الثقافية

الخطاب الصحفي تحت أضواء الشعر

عبد الرزاق الربيعي
عُمان

أسهمت الصحافة الثقافية إسهاماً فاعلاً في انتشار الشعر، وقدّمت جهوداً واسعة، فصدرت مجلات ثقافية، بل تخصص بعضها في الشعر. ولم يكن هذا الحدث أمراً عابراً؛ فقد أحدث اختراع غولدسميث يوهان غوتنبرغ، الطباعة في ألمانيا عام 1440 للميلاد، نقلة حضارية كبيرة، فغاب النسّاخون، وكثرت الكتب، وظهرت الصحافة التي أنعش صدورها الشعر.



عدّها شوقي لسان البلاد الناطق بأحوالها

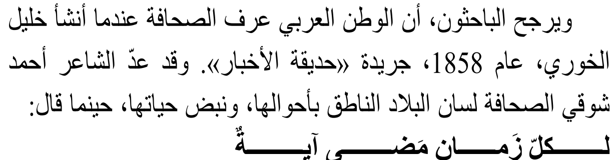
يقول يوسف السباعي في افتتاحية مجلة «الشعر» التي صدرت في القاهرة، مطلع عام 1976:

نزفّ مجلة «الشعر» للعرب تأكيداً للفكرة المتواترة التي تقول: من أحيا الشعر فقد أحيا العرب، ومن قتل الشعر فقد قتل العرب. مؤكداً صدق مقولة أن «الشعر ما زال ديوان العرب»، فهو «المعبّر الحقيقي عن خلجاتهم، وتطلعاتهم».

لكنّ العرب، عرفوا النثر، يقول الدكتور جواد علي، في كتابه «المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام» كان للعرب الكثير من الكتب المعروفة المتداولة بينهم، ومن بينها ما عرف بـ «مجلة لقمان»، المنسوبة إلى لقمان الحكيم.

ورأى علماء اللغة، كما يقول جواد علي، أن المقصود بكلمة «مجلة الصحيفة» التي يكتب فيها شيء من الحكمة، بينما يرى هو أن الكلمة استعملت للدلالة على «الكتب المقدسة».

ويرجح الباحثون، أن الوطن العربي عرف الصحافة عندما أنشأ خليل الخوري، عام 1858، جريدة «حديقة الأخبار». وقد عدّ الشاعر أحمد شوقي الصحافة لسان البلاد الناطق بأحوالها، ونبض حياتها، حينما قال:



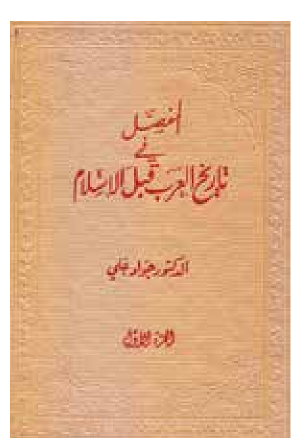
لكلّ زمانٍ مضى آيةٌ
وآيةُ هذا الزّمانِ الصُحُفْ
لِسانُ الْبِلادِ ونَبْضُ الْعِبادِ
وكَهْفُ الْحُقوقِ وحَرْبُ الْجَنَفْ

ومن أشهر الشعراء الذين عملوا في الصحافة، محمد مهدي الجواهري الذي كانت جريدته «الرأي العام»، من أهمّ الصحف في تلك المرحلة ونشر فيها مقالات كثيرة، مثلما فعل الشاعر يوسف الخال، صاحب مجلة «شعر» اللبنانية، التي لها دور بارز في تشكيل تيّار الحداثة في الشعر العربي، وكانت تصدر في بيروت أوائل ستينات القرن الماضي. وفي بغداد صدرت مجلة «شعر69» التي نشرت البيان الشعري المعروف الذي وقّعه أربعة من شعراء الجيل الستيني في العراق، وهم: فاضل العزّاوي، وسامي مهدي، وفوزي كريم، وخالد علي مصطفى. وفي الثمانينات أصدر الشاعر اللبناني هنري زغيب مجلة «الأوديسة» في بيروت. وفي تونس صدرت مجلة فصلية هي «مجلة الشعر» عام 1983، وترأس تحريرها الشاعر الراحل نور الدين صمود، وكان أمين تحريرها يوسف رزوقة.



من اليمين يوسف رزوقة وعمر أبوالهيجاء وعبدالعزيز الهمامي وجميلة الماجري







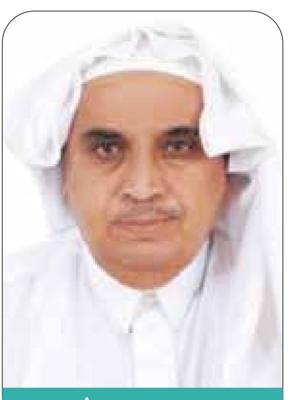
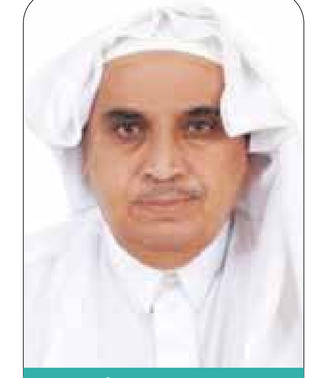
أسهمت الصحافة الثقافية في انتشار الشعر

و«الحركة الشعرية» التي تُعنى بالشعر الحديث، ويصدرها الدكتور قيصر عفيف في المكسيك، ويعاونه محمد شريح. وفي الخليج أصدر نادي الطائف الأدبي بالمملكة العربية السعودية دورية «الشعر» التي هي «كتاب دوري يحوي نماذج من الشعر العربي السعودي الحديث»، وأعده وأشرف عليه علي حسن العبادي، ومحمد المنصور الشقحاء، في عام 1979. وفي 1 يونيو 2012 أصدر بيت الشعر في «مركز زايد للدراسات والبحوث» في نادي تراث الإمارات بأبوظبي، مجلة متخصصة بالشعر عنوانها «بيت الشعر» ترأس تحريرها الراحل حبيب الصائغ، ولم تتوقف على ما يتعلق بالشعر، بل تعدّت ذلك إلى المسرح والسينما. لقد خدمت الصحافة، وخاصة الثقافية، الثقافة والشعر على مدى عقود من تجربة الأدب الحديث؛ فعبر نشر القصائد استمرت في بناء علاقة متواصلة مع القارئ باطلاعه على مذاق الشعر، لأن المتلقّي، كما يقول الشاعر






يوسف السباعي

محمد منصور الشقحاء


هنري زغيب

قيصر عفيفي

عماد جبّار «قد لا يحصل على الكتاب، وبتوفيرها مذاقات الشعر لأسماء كثيرة تكون قد أسّست وقدمت للشعر عامة، خدمة أن تزوّد القارئ بمقدمات جاذبة، وعلى نحو أدقّ، تستدرجه إلى هذا العالم، بحسب قدرة الصحيفة على الالتزام بمقاييس الشعر العالي. بالتأكيد دافع الصحيفة في هذا حرصها على سعة انتشارها ومبيعاتها، لكنها من جانب آخر عملت على خدمة الشعر والثقافة والمجتمع، وكرست فنّ الشعر حيزاً مهماً ضمن تقاليدها وفضائها».


آلة طباعة ترجع لعام 1811 تم تصويرها في ميونخ، ألمانيا

زوّدت القرّاء بمقدمات جاذبة وعرّفت بتجارب الشعراء

لكنّ العلاقة بين الشعر والصحافة لم تكن جامدة، فقد أضفى عليها الشعر من جمالياته، وأدواته؛ فهي متغيرة، لأنها «تقوم على الاستعارة، فأحياناً يستعير الشاعر أدوات الصحفي في سرد التفاصيل وتحديد الموضوع، ورغم صعوبة ذلك، فإن ذلك ينتج عنه الخروج من روح الشعر وتلبّس روح الخبر أو التحقيق الصحفي، لتكون الدهشة مختلفة في الأسلوب والمعجم اللغوي. وقد يستعير الصحفي أدوات الشاعر ليصبح الخطاب الصحفي مسكوناً بروح الشعر الذي يتجلى في الصياغة والدلالة، والرؤية، فتنعكس اللغة الشعرية على اللغة الصحفية، من دون الإخلال بالموضوعة المطلوبة وتحقيق الجودة الصحفية»؛ كما يقول الدكتور سعد التميمي، ويبقى روح الشعر وجذوته هما المركز والمهيمن؛ أما الصحافة فهي الهامش الذي يعزّز الوظيفة الشعرية. والخطاب الصحفي الذي يفيد فيه الصحفي من الشعر، يجب ألّا يخلّ بالوظيفة الصحفية التي تقوم على الموضوعية والتحديد، وإذا كانت الصحافة تحكمها قوانينها، فإن الشعر له قوانينه، وللزمن قوانينه أيضاً؛ فالمتغيرات التي طرأت على الحياة، بشكل عام، طالت الصحافة، وتوقّف الدعم الذي أدّى إلى الجنوح للنشر الإلكتروني، توفيراً لكلف الطباعة الورقيّة، فتوقفت الملاحق الأدبية، وتقلّصت الصفحات الثقافية، خصوصاً بعد ظهور مواقع التواصل، والتطور التكنولوجي؛ يقول الشاعر السعودي عبد الوهاب العريض «كان للصحافة في الماضي دور مهمّ في انتشار



خالد علي مصطفى


عبدالوهاب العريض

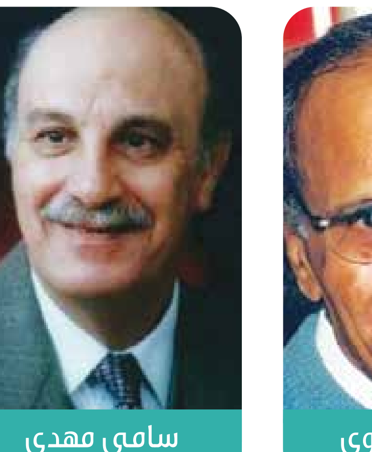
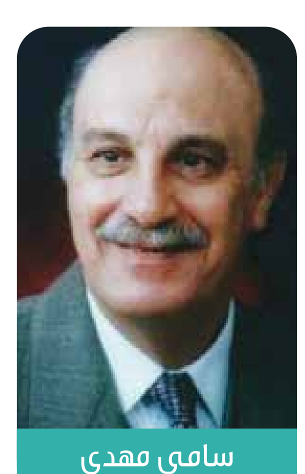
الأعمال الإبداعية وإبرازها، وكانت الصحف تتسابق لنشر قصائد خاصة بالشعراء المعروفين أو الموهوبين. كما كان الشعراء يفخرون بنشر قصائدهم في الملاحق الثقافية، وهذا أصبح نادراً اليوم، حيث نجد أن الملاحق الثقافية لا تهتم بنشر الإبداع الثقافي إلّا فيما ندر، ويبحث محرّرو الصحف التقاط القصائد الحديثة من مواقع التواصل، ونشرها في الصحف.

وحيث أصبحنا أكثر حاجة إلى إعادة وهج الصحافة في المشهد الإبداعي، علينا البحث عمّا يستقطب الشعراء وعودتهم إلى أحضان الصحافة، بالاحتفاء بهم عبر ابتكار أساليب جديدة تعيد الثقة الى الشعراء، ليعودوا إلى أحضان الصحافة مرة أخرى».

هذه الثقة وفّرتها الشارقة التي احتضنت القصيدة، ويأتي صدور مجلة «القوافي» عن بيت الشعر بدائرة الثقافة بالشارقة، تنفيذاً لتوجيهات صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، تعزيزاً لهذه الثقة، لتواصل الصحافة الثقافية أداء رسالتها على أكمل وجه.



فاضل العزاوي



سامي مهدي

اعتِكاف



إبراهيم السالمي
عُمان

وهذا الليلُ في المعنى ضئيلُ
ويبدو مِنْ كثافتِهِ القليلُ
يميلُ المُتعبونَ إلى التماهي
بأوجاعِ الحياةِ ولا أميلُ
أنا والليلُ ضدّانِ اسْتجابا
فكانَ الحُبُّ والشِّعرُ الجميلُ
تضيءُ فراشةٌ وتذوبُ أخرى
على حِضني فينطفئُ الفتيلُ
فأشعِلُ وردةً والماءُ بكرٌ
تدفَّقَ مِنْهُ دفءٌ سلسبيلُ
وعينُ الفجرِ في البُستانِ كسلى
ويرعاها ضميرٌ مُستقيلُ
هيَ الأحلامُ تأتي دونَ وعي
ويركضُ خلفها أمَلٌ نحيلُ
أنا في النُّورِ مِحرابٌ وسربٌ
ويهزِمني السَّرابُ المُستَميلُ
إذا الأقمارُ صدّتْ عنْ سِراجي
فعذري أنَّني فيها الأصيلُ
لكلِّ إضاءةٍ غمزتْ بليلٍ
ولم يسعفْني للمعنى دليلُ
وكلِّ جميلةٍ عبرتْ لقلبي
على الذكرى وعاودَها الصهيلُ
بخدِّ الليلِ شاماتٌ وعطرٌ
وآمالٌ تطولُ وتستطيلُ
ألمْ ترني اعْتَكفتُ على فؤادي
فطالَ الدربُ واتَّسَعَ السبيلُ
وصارَ الليلُ أقصرَ ما أراهُ
يُزاحِمُني لمُوسيقاهُ إيلُ
فأعزِفُهُ على نورٍ ونارٍ
يُسايِرُني الطُّموحُ المُستحيلُ
أوسِّعُ خُطْوةً فيها اشتِباهٌ
أعودُ بها إذا حارَ الدّليلُ
فتُدْركني على المسرى نُجومٌ
وتُشبِهُني على الأرضِ النخيلُ

فِيلٌ يَمُجُّ ذاكِراتَه



إبراهيم توري
السنغال

آتِينَ مِنْ صَخَبِ الْمَاضِي لِصَمْتِ غَدٍ
نَمْشِي كَسَارَى وَمَا فِي الظِّلِّ مِنْ سَنَدِ
عَلَى الطَّرِيقِ رَأَيْنَا شِبْحَ أَرْصِفَةٍ
ثَكْلَى وَلَا أَحَدٌ يَرْثِي خُطَا أَحَدِ
حَدَّ التَّمَاهِي مَعَ الْأَشْيَاءِ تَمَرُّقُنَا
كَفُّ الرَّمَادِ فَهَلْ فِي النَّحْلِ مِنْ شُهُدِ؟
لَوْ تَعْلَمَ النَّارُ مَا فِي جَمْرِ قَهْوَتِنَا
أَوْ يَعْلَمُ الْبَحْرُ مَا تَأْشِيرَةُ الزَّبَدِ
فِي الْبَدْءِ كَانَتْ سَمَاءُ الْحُلْمِ مُعْشِبَةً
مَا بَالُهَا الْيَوْمَ غَرْثَى دُونَمَا بَرَدِ
أَهَكَذَا يَعْبُرُ الْإِنْسَانُ مِحْنَتَهُ
عَنْ صَدْمَةٍ نَحْوَ أَقْسَى مِنْ يَدٍ لِيَدِ
أَكُلَّمَا ارْتَدَّ بَرْقُ الْحُلْمِ غَيَّبَهُ
سَيْلُ الظَّلَامِ وَنُورٌ ضَاعَ مِنْ رَمَدِ
أُنُوثَةُ الرُّوحِ يَا لَيْلَايَ كَافِيَةٌ
دِفْءٌ وَدِفْءٌ تُرَى مَا طَاقَةُ الْجَسَدِ
عَيْنَاكِ فَانْتَازِيَا الصَّيْفِ الْجَمِيلِ مَرَا
يَا فِتْنَةَ الشَّاطِئِ الْمَخْلُوقِ فِي خَلَدِي
تَدْرِينَ سَمْتَ اللَّيَالِي الْهُوجِ تُنْبِئُنَا
عَنْ هَدْأَةِ الْكَوْنِ فِي أُرْجُوحَةِ الْكَبَدِ؟

عَنْ أُمِّ «كُورَا» الصَّبَايَا السُّمْرِ تَهْتِفُ بِي
”فَاعْزِفْ لِتَعْرِفَ سِرَّ الْقَلْبِ يَا وَلَدِي“
وَحِينَ غَنَّى بَكَى، دَمْعٌ وَأُغْنِيَةٌ
مَا بَالُهُ، بَالُهَا، هَلْ تِهْتُ فِي رَشَدِي
شُعَاعُ هَذَا السَّرَابِ الْوَغْدِ أَعْرِفُهُ
فَبَعْضُهُ مَوْسِمِيٌّ، بَعْضُهُ أَبَدِي
يَأْتِي لِيَبْتَزَّ مِنِّي كُلَّ مُشْرِقَةٍ
وَيُشْعِلُ الزَّنْدَ، زَنْدَ الْحُبِّ فِي كَبِدِي
لَأَنَّنِي فِيلُ هَذَا الْغَابِ ذَاكِرَتِي
قَدِيمَةُ الْجُرْحِ تَشْكُو سَطْوَةَ الْأَسَدِ
كَا «الْبَاوَبَابِ» مَقَامَاتِي هُنَا حَمَئِي
يَا رُوحُ- يَخْتَزِلُ الْأَلْوَانَ فَاتَّئِدِي
هُنَا عُقُودٌ مِنَ الْإِطْرَاقِ مُلْهِمَةٌ
فَهَلْ سَمِعْتِ وُجُومِي سَرْدَ مُنْفَرِدِ
أَنَا اجْتِرَارٌ مِنَ الْوَيْلَاتِ مَنْقَبَتِي
أَنِّي ارْتَضَيْتُ حَيَاةَ الْحُوتِ وَالْجَلَدِ
يَوَدُّ كُلُّ الْفُرَادَى لَوْ مُنَادَمَةٌ
وَوَحْدِيَ الْجَمْعُ كُلًّا غَيْرَ مُحْتَشِدِ
سُبْحَانَهُ عَالَمِي الْمَوْبُوءِ مِنْ عَسَلِ
إِنْ يَهْجُرُوهُ فَفِي أَشْوَاكِهِ وُرُدِي

ليلٌ مقمرٌ لاصطياد العتب



حسن طواشي
السعودية

هـا عُـدتَ؛ قلبـي ضيـاً لليـأس يبتهلُ
والعابـرون إلـى آياتـهِ خُذِلـوا
مـا عـاد يبصـرُ مـن تاريـخِ شـرفتِهِ
حكايـةُ المـاءِ في عشـبِ الـرؤى ثملْ
زمانُـهُ الـكانَ يسـقي نبـضَ داليـةٍ
مـن الغنـاءِ يـواري صوتَـهُ الطَّلـلُ
تهـذي وتصطـدمُ الأشـياءُ فـي حـدقٍ
بغير جفـنٍ فيُدمـى فوقهـا الأمـلُ
وأنـتَ تعلـمُ ممـا فـيّ مـن عطـشٍ
إلـى اقتنـاصِ سـماءٍ رَبُّهـا الوشـلُ
وأنَّ روحـيْ انزياحـاتُ المجـازِ تمـرُّ
بـي فيُصعِدُهـا معراجُـكَ الأسـلُ

عامـان والصمتُ لـم يحبل بشـاردةٍ
تضـيءُ عينيـك سـرًّاً ثـم أشـتعلُ
أخطـو لذاكـرةِ الأضـواءِ مسـتنداً
إلـى ظلالـي وأمسـي غيهـبٌ وَجِلُ
عَلَّقـتَ صوتـيَ بالشـكِّ الغنـيِّ بضع
ـفي هل ترى الشاعر المهووس يرتجلُ
أبيـتُ أشـعلُ للقنديـلِ خيبتَـهُ
والـدربُ نَـأيٌ وإيحائـي بـهِ ثِقَـلُ
فكيـف غِبْتَ وصبـحُ العاشـقينَ على
كفِّـي يشـيخُ ولـم تَنـزل لهُ الرسـلُ
والآن تُقلِـعُ عن تحريـضِ عاصفةِ الـ
ـخيباتِ فـيَّ فورد الشـعر يغتسـلُ
لا تقتـرب، كن علـى وحْيَيْن من أرقي
حتـى تُفـاوضَ فـي إنشـادِكَ الجملُ



أمشي إليّ


منير خلف
سوريا

أمشي إليَّ كمَنْ يسعى إلى غدِهِ
لا حُلْمَ يحمِلُهُ لا شيءَ في يدِهِ

صمتي امتدادٌ لنسلِ الضوء، يرمقُ من
قمحِ النداءاتِ في رؤيا زُمُرُّدِهِ

يرنو بعينِ انتظارِ النجمِ، مرتدياً
ظلَّ المعالي ويمضي في تفرُّدِهِ

كأنّهُ وحدَهُ وصلٌ بغايتِهِ
وما الليالي سوى هَمْزَاتِ مُوجِدِهِ

هو الأنا، جوهرٌ يحتاجُ موردُهُ
ماءَ انتماءٍ إلى سُقيا تجدُّدِهِ

مُلِئْتُ بالفَقْدِ، هاءُ الغيبِ ورّثَني
رؤيا ضياعٍ على مرأى تبَدُّدِهِ

تفقّدَ الحزنُ قلبي مذْ رآهُ دمي
غريبَ وجْدٍ وحسبي في تفقُّدِهِ

قصدتُ باللفظِ أن أحظى بمَنْ معَهُ
سعياً بمعنى إلى معراجِ مقصدِهِ

يمضي غريباً بريدُ السِّلْمِ في وطني
دليلُهُ في الرّؤى فقدانُ هُدْهُدِهِ

سفينُهُ من غياباتٍ تُشرّدُهُ
ما أبعدَ السَّعْدَ عن شطآنِ فَرْقَدِهِ!

كم موعدٍ رُمْتُ في أحضانِهِ حُلُماً
وكم خُذِلْنا وكم تهنا بموعدِهِ!

الوردُ يسطعُ ما تهفو إليهِ يدٌ
والوجهُ أقصى مُنَاهُ في تورُّدِهِ

نسعى إلينا غياباً حينَ يجمعُنا
شوقٌ إلى شامةٍ في خدّ موردِهِ

هل نحنُ نحنو على أرضٍ تُوَحِّدُنا؟
ما أوحشَ البيتَ إذ يبكي بمفردِهِ!

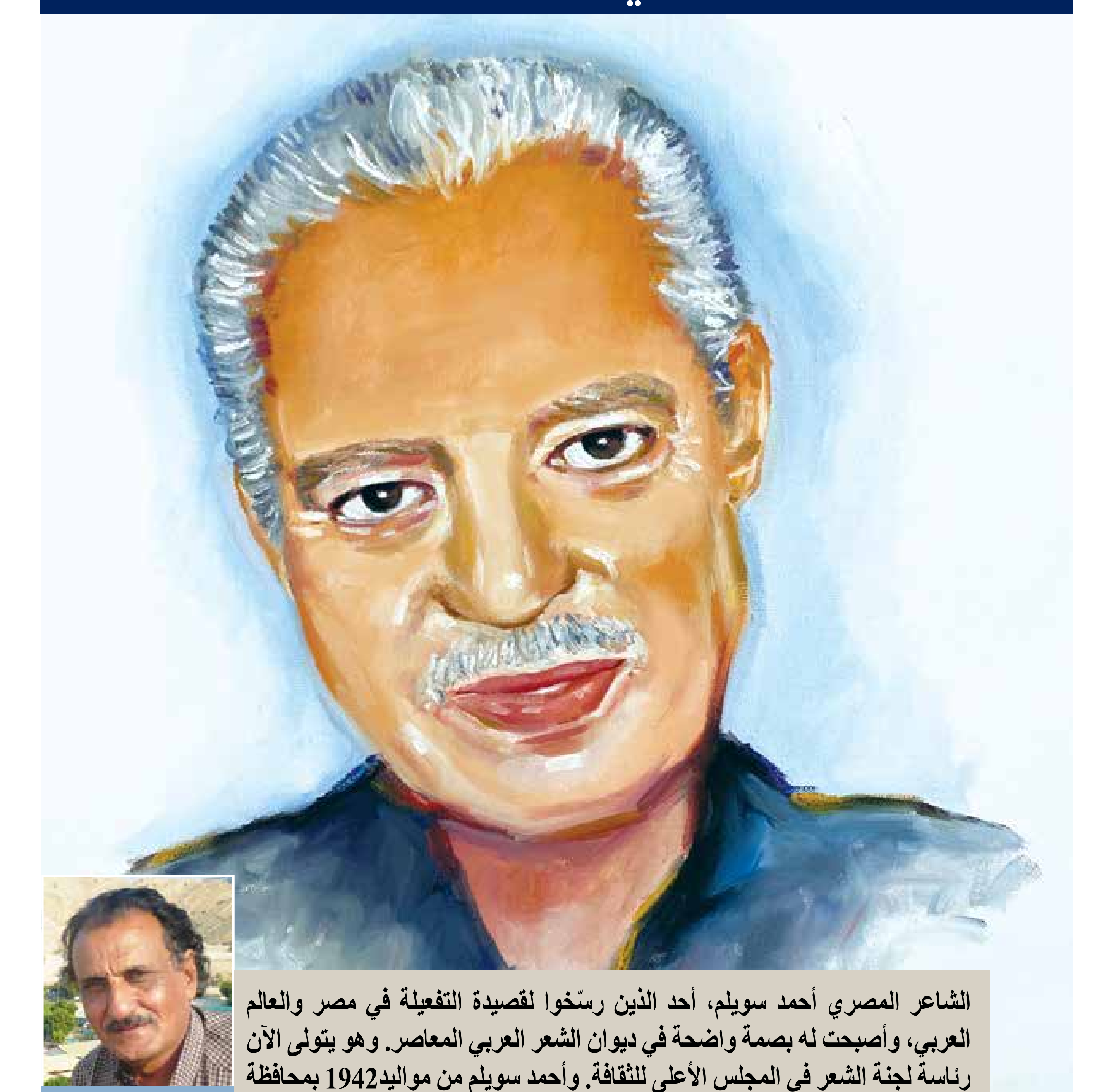
مذ كان حُلْمي صغيراً كنتُ أحمِلُهُ
وكان يحرسُني في ليلِ مروَدِهِ

واليومَ لا موعدٌ يرنو إليّ ولا
رحيقُ حرفٍ يداوي جُرحَ سيّدِهِ

حصل على أغلب الجوائز الرسمية بمصر

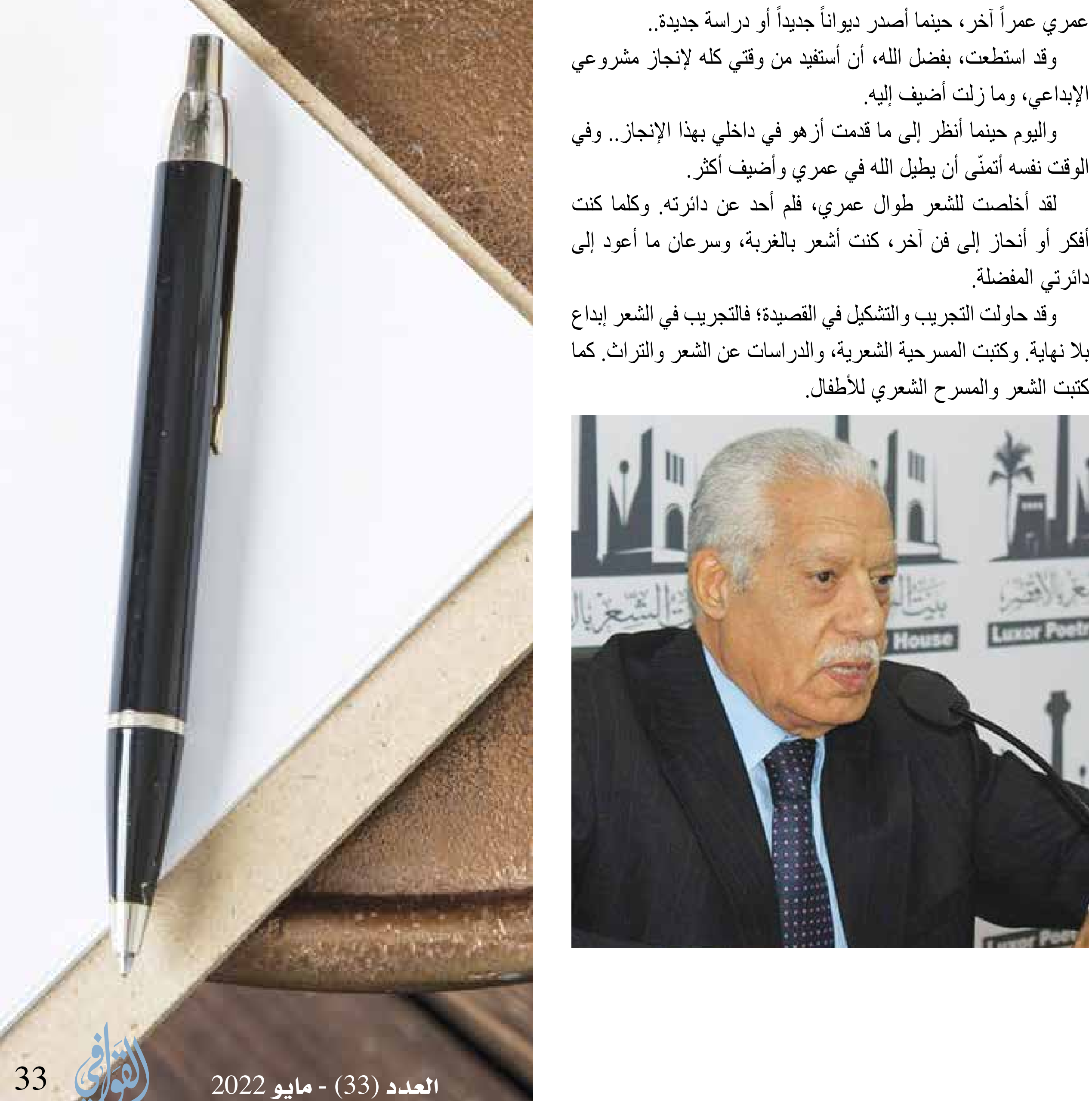
أحمد سويلم:

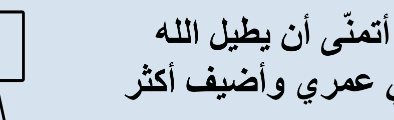
التجريب في الشعر إبداع بلا نهاية



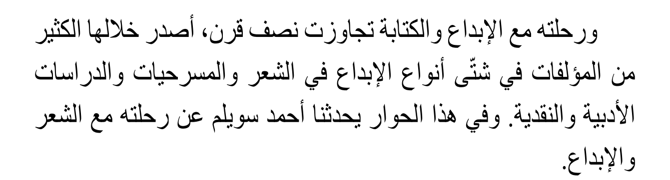
الشاعر المصري أحمد سويلم، أحد الذين رسّخوا لقصيدة التفعيلة في مصر والعالم العربي، وأصبحت له بصمة واضحة في ديوان الشعر العربي المعاصر. وهو يتولى الآن رئاسة لجنة الشعر في المجلس الأعلى للثقافة. وأحمد سويلم من مواليد1942 بمحافظة كفر الشيخ، وقد حصل على جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام 2016 وجوائز أخرى.

محمد نجيب علي
السودان





> أتمنّى أن يطيل الله
> في عمري وأضيف أكثر



ورحلته مع الإبداع والكتابة تجاوزت نصف قرن، أصدر خلالها الكثير من المؤلفات في شتّى أنواع الإبداع في الشعر والمسرحيات والدراسات الأدبية والنقدية. وفي هذا الحوار يحدثنا أحمد سويلم عن رحلته مع الشعر والإبداع.

- تجربة تجاوزت الخمسين عاماً من الكتابة والشعر.. كيف تقرأها الآن؟ وماذا جنيت منها؟

هي تجربة حياة.. لأن الكتابة بالنسبة لي هي الحياة.. فأنا أضيف إلى عمري عمراً آخر، حينما أصدر ديواناً جديداً أو دراسة جديدة..

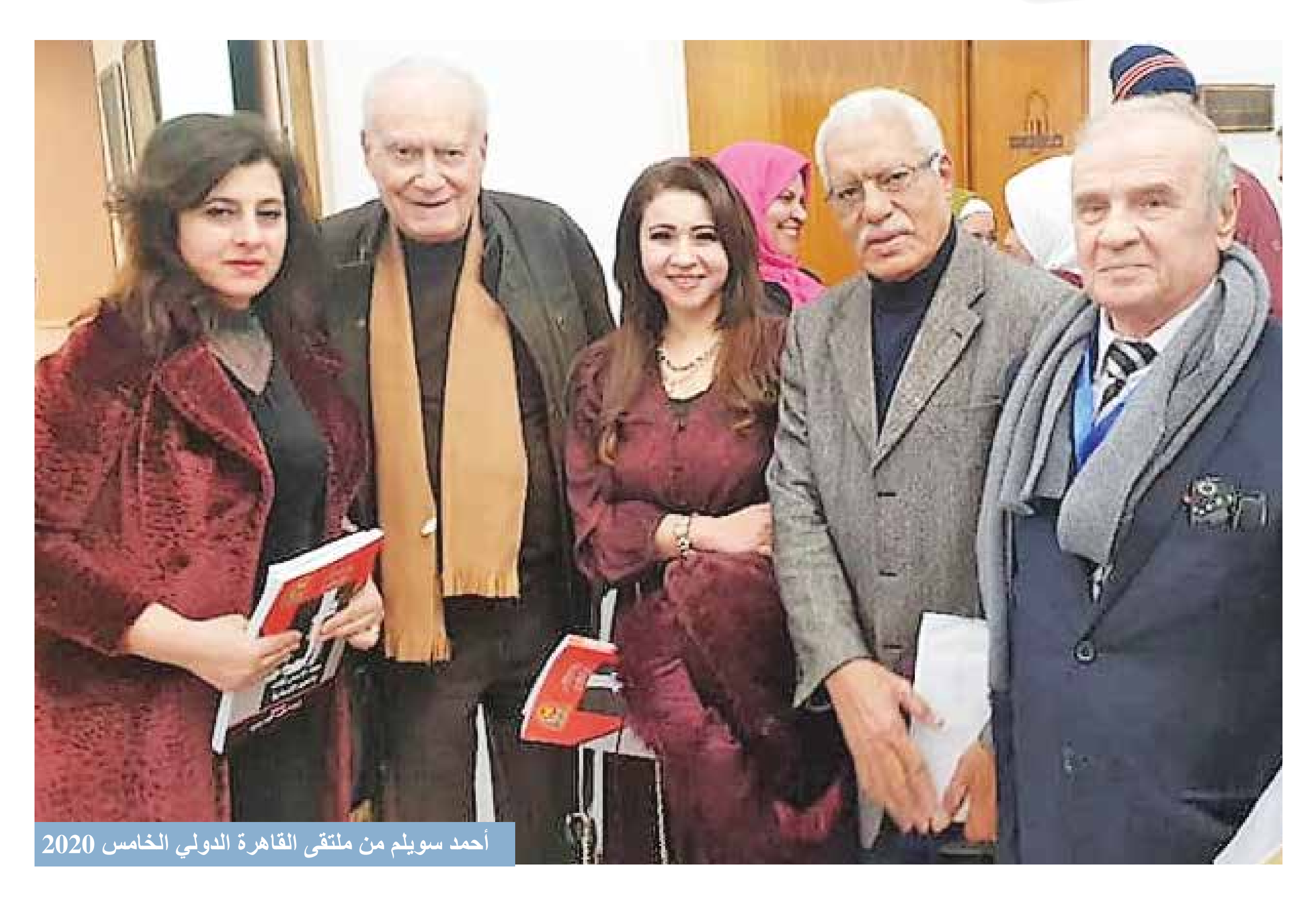
وقد استطعت، بفضل الله، أن أستفيد من وقتي كله لإنجاز مشروعي الإبداعي، وما زلت أضيف إليه.

واليوم حينما أنظر إلى ما قدمت أزهو في داخلي بهذا الإنجاز.. وفي الوقت نفسه أتمنّى أن يطيل الله في عمري وأضيف أكثر.

لقد أخلصت للشعر طوال عمري، فلم أحد عن دائرته. وكلما كنت أفكر أو أنحاز إلى فن آخر، كنت أشعر بالغربة، وسرعان ما أعود إلى دائرتي المفضلة.

وقد حاولت التجريب والتشكيل في القصيدة؛ فالتجريب في الشعر إبداع بلا نهاية. وكتبت المسرحية الشعرية، والدراسات عن الشعر والتراث. كما كتبت الشعر والمسرح الشعري للأطفال.




أحمد سويلم من ملتقى القاهرة الدولي الخامس 2020

ويمكنني أن أقول بعد هذه الرحلة الطويلة، إنني لم أقصر في حق نفسي ولا في حق إبداعي، ولا في حق قارئي. وما تحقق لي في هذه الرحلة، وإن كان يراه بعضهم قليلاً، فإنني راض عنه. ففي تاريخي حصلت على أرفع الجوائز، وفي تاريخي آراء ودراسات لكبار النقاد، وفي تاريخي المتلقي الذي ينتظر مني المزيد. وهذا ما يرضيني.

ـ أنت أحد كبار شعراء العصر الذهبي؛ فماذا تقول عن هذه التجربة وعن أبناء جيلك؟

اتفق النقاد على إطلاق «جيل الستينات» عليّ وعلى أبناء جيلي، وهو الجيل الذي جاء مباشرة بعد جيل روّاد الحداثة الشعرية.

وربما تميزت تجربتنا بالتنوع والثراء والتطور، نتيجة معايشتنا للتحوّلات السياسية الاجتماعية والثقافية التي مرت على المجتمع العربي، منذ ثورة يوليو 1952 حتى الآن.

لقد عشناها جميعاً بكل مالها وما عليها. واتخذ كل منّا مواقفه الصادقة تجاه هذه التحولات، وانعكس ذلك في أعمالنا الإبداعية.

يمكن أن أقرر بارتياح شديد، أننا جيل له تجربة متميزة استوعبت كل ما هو جديد في سياق إبداعي مختلف عن جيل الرواد، وعن الأجيال التي جاءت بعدنا.

ومن يقرأ هذه التجربة بإمعان وتجرّد، يجد هذا التنافس الفني المحمود بين أبنائه، بهدف رسم خريطة استثنائية ستظل ماثلة لأجيال كثيرة قادمة.

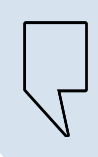
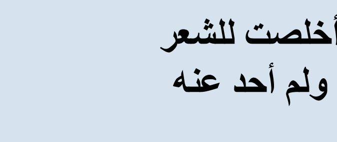
ـ يقولون إن الرَواية أصبحت ديَوان العرب وليس الشعر..

هذا قول مجاف للحقيقة؛ فليس معنى سيادة فنّ من الفنون لأسباب مختلفة، أنه صار ديوان العرب.

لقد كانت الدراما التليفزيونية سائدة في وقت مضى أكثر من الشعر والرواية، ولم يقل أحد عنها إنها صارت ديوان العرب.

ـ ولماذا نقصر هذا المصطلح على فنّ، دون غيره، في عصر تتصارع فيه كل الفنون وتتلاقح؟

ربما كان هذا صحيحاً في عصور الشعر الأولى، لأنه كان الفنّ الوحيد السائد، لكن مع تعقد الحياة، وتعدد الفنون، أضيفت إلى ساحة الإبداع فنون أخرى زاحمت الشعر، مثل المقامات، ثم المسرح، ثم الدراما التلفزيونية ثم الرواية.. وهكذا صار ديوان العرب ديواناً يستوعب كل الفنون.





وليس معنى ذلك أن الشعر فقد مكانته أو تأثيره، فهو فنّ ينبع من الشعور الإنساني ليصبّ في الشعور الإنساني للمتلقي؛ فهل يجوز أن يتخلى الإنسان عن مشاعره للمبدع، ليصير بلا أحاسيس ويبتعد عن تذوق الجمال؟

ـ كانت التفعيلة امتداداً القصيدة العربية، بعض المحدثين ينظرون إليها كشبح من الماضي؛ ما قولكم؟

ليست التفعيلة امتداداً للقصيدة العربية، ولكنها رافد انفصل عنها، كما حدث مع الموشحات. وقد حفرت التفعيلة لها مساراً خاصاً يستوعب قوالب كثيرة، مثل القصيدة والمسرحية والقصة الشعرية، وحتى الرواية الشعرية؛ وهي في الدراما تيسر الحكي، كما أنها شكل يتيح للشاعر حرية في التعبير بلا سقف.

وأتعجب من هؤلاء الذين ينظرون إلى هذا الشكل «كشبح من الَماضي» وهو الشكل الذي لم يعجز يوماً لدى الشاعر المبدع عن الاستجابة إلى تجربته مهما كانت هذه التجربة. وأظن أن الشاعر الذي يعجز عن الوصول إلى الإمكانات الفنية لهذا الشكل، يمتلك قدرات فنية محدودة.

أنا شخصياً أسبح في بحر التفعيلة بلا شاطئ، وهذه الحرية تمكنني من الإبداع بها للكبار والصغار، دون ملل أو إحباط.

ـ النقد الحداثي والتطوير أصبحا تابعين للمناهج الغربية؛ أين أصبحت خصوصية القصيدة العربية؟

حسناً أن ذكرت مصطلح «الحداثي»، لنعرف مدى الانحياز إلى بريق المناهج الغربية وتطبيقاتها المتعنّتة على القصيدة العربية، خاصة التراثية منها.

ولو أَمعنت النظر قليلاً، لوجدت هؤلاء النقاد للأسف شباباً أو أجيالاً لم تقرأ تراثها النقدي وتربّت على مناهج الغرب.

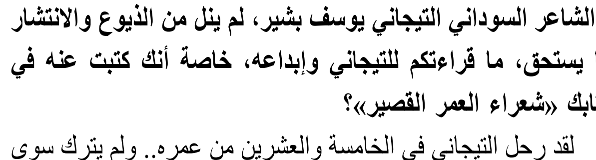
إنهم لم يقرؤوا مثلاً الجرجاني ونظراته النقدية العربية، ما يمكن تأسيس نظرية نقدية عربية بها، يمكنها أن تستوعب الحداثة استيعاباً كبيراً.

نحن في حاجة إلى الاستفادة من هوّيتنا الابداعية والنقدية.. وعَمل دراسات مقارنة مع المناهج الغربية. وهذه في ظني مسؤولية أقسام اللغة العربية في جامعاتنا.





فنّ الشعر لم يفقد مكانته أو تأثيره



- في السنوات الأخيرة اتجه عدد من الشعراء العرب إلى كتابة الرواية، ما تعليقك على هذه الظاهرة؟

إن الجمع بين اللونين في منتهى الصعوبة، والقلة النادرة هي التي تمتلك القدرة على ذلك. ولعلّ توافقني على أن إبداع قصيدة يختلف جذرياً عن إبداع رواية سردية.

فالقصيدة غالباً تحكي موقفاً واحداً وتلجأ إلى الخيال والتكثيف وتقنية الموسيقي... وهذا لا يتوافر في الرواية.

وقد لاحظت في السنوات الأخيرة، هذا التحول من بعض الشعراء الذين أغواهم فن الرواية الذي لا يحتاج، في ظنهم، إلى هذه المعاناة التي يجدونها في القصيدة. إلى جانب تلك الجوائز التي تمنح دائماً للرواية ولا تمنح للشعر.

وفي اعتقادي، وقد يغضب بعضهم، أن الشاعر الذي عجز عن التحقق شعرياً يسرع إلي مجال الرواية الذي يستوعب مغامرات لا تحتاج إلى فنيات الشعر العالية، وخصوصيته الموسيقية والتخييلية.

- الشاعر السوداني التيجاني يوسف بشير، لم ينل من الذيوع والانتشار ما يستحق، ما قراءتكم للتيجاني وإبداعه، خاصة أنك كتبت عنه في كتابك «شعراء العمر القصير»؟

لقد رحل التيجاني في الخامسة والعشرين من عمره.. ولم يترك سوى بعض المقالات في الأدب والنقد، وديوانه الصغير «إشراقة». وصغر سنه كان عاملاً حال دون انتشاره وذيوع فنه، إلى جانب حياته البائسة منذ الطفولة، وشكايته الفقر والمرض، وقلة إنتاجه الشعري برغم تفوقه إبداعياً.

كما نعلم لم ينل من النقّاد ما يستحقه، ربما لاتجاهه إلى التصوّف والعزلة في حياته.

لكن تلك العوامل وغيرها برغم قسوتها، فإن نضاله من أجل البقاء، وصراعه مع المرض، وفلسفته في أشعاره القليلة، تستحق كثيراً من الإضاءة على تجربته المتفردة.

- هل من مهرجانات جمعتك بشعراء السودان الذين عاشوا في القاهرة: محمد الفيتوري، وجيلي عبد الرحمن، وتاج السر حسن؟

هناك لقاءات متعددة في مهرجانات ومؤتمرات، وجلسات خاصة في القاهرة وخارجها. لكن الفيتوري كانت تربطني به علاقة خاصة، وقد كتبت دراسة في مجلة «الفكر المعاصر» عام 1968 عن ديوانه «اذكريني يا إفريقيا» وصرنا صديقين بعد ذلك.



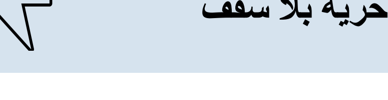
أحمد سويلم في بيت الشعر في الأقصر 2018

تاج السر حسن



محمد الفيتوري

شعر التفعيلة يتيح حرية بلا سقف



وأتذكر أننا كرّمناه في اتحاد كتاب مصر بالقاهرة، وأقمنا له ليلة فنية من أشعاره، أعددتها؛ وكم كان سعيداً بهذا التكريم!

إن شعراء السودان هم الجناح الآخر لطائر الشعر الذي يربط بين مصر والسودان، أما الشعب السوداني، فأدرك تماماً كم هو مثقف وقارئ ومتذوق.

إننا نعتز بمبدعي السودان، وكان الطيب صالح صديقاً حميماً، ولكل سوداني في قلوبنا محبة خاصة ومكانة متفردة.

- الجوائز العربية أحدثت حراكاً في الساحة الثقافية.. إلى أي مدى انعكست هذه الجوائز على حركة الإبداع وتطورها؟ وما تقويمكم لها؟

في البداية أريد أن أؤكد أن الجائزة لا تصنع مبدعاً.. لكنها مهمة في تاريخه.. وأنا شخصياً حصلت على أغلب جوائز الدولة الرسمية في مصر، وأعتزّ بذلك، ولا أسعى إلى جائزة خارج بلدي.

من اليمين علي عمران ومحمود حسن وأحمد سويلم





استراحة



أحمد سويلم
مصر

(1)

في منتصفِ الليلْ

أمسكني شرطي من جيبِ

قميصي

متَّهماً بالنظرِ إلي عمقِ النهرْ..

قلتُ لهُ: انظرْ..

أترى هذا الزحفَ النورانيَّ

وهذي المعشوقاتِ المحظيّاتِ

و هذا العرش الذهبي!! ؟

أشارَ بيدِهِ: مجنونْ..

قيلَ لهُ: بلْ شاعرْ..

رفعَ الشرطيُّ يديهِ

وعينيهِ

وقالْ:

ياربّ العقل

رُدَّ لهُ عقلَهْ..!

(2)

في صدري طفلٌ نزقٌ

في خطوي طيشُ فتيٍّ

يعدو.. وينافرْ..

في دفترِ أيامي ألوانٌ

تبهتُ..

تبهتُ..

منشطرٌ بين نفوري

وشهيق الزمنِ المذمومْ..

لكني أدري..

لو أنحازُ إلي طفلي

لن أبلغَ حلمي

مادام بخطوي

هذا الشغفُ المحمومْ..!

(3)

حين أري فيما يشهدهُ

النائمُ

أحكي في الصبح لصاحبتي

ما كنتُ رأيتُ..

فأسمعُها..

تحكي نفسَ الحلمِ

ونفسَ الألوانْ..

فأصدّقُ أنَّ الحلمَ _ كما

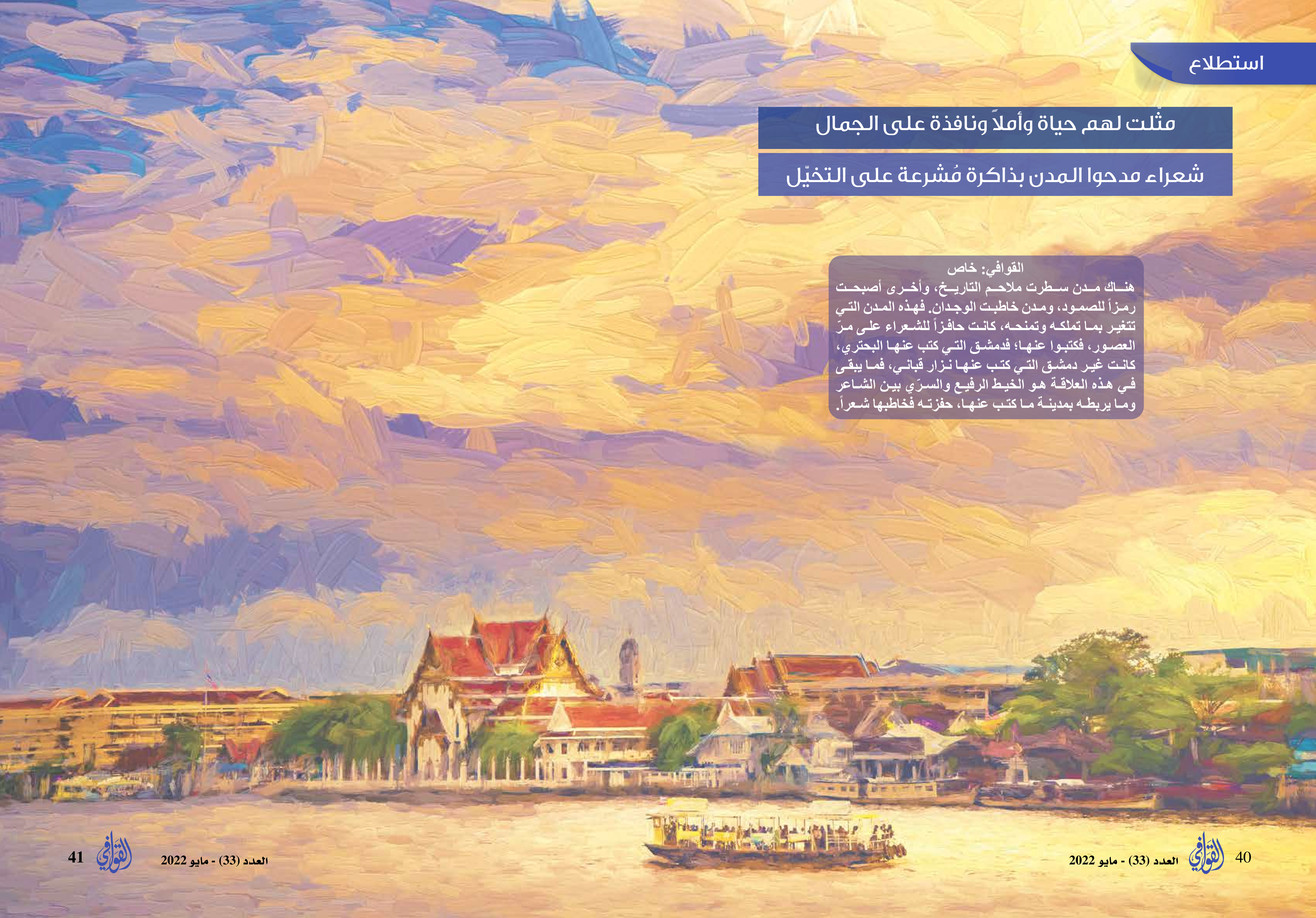
الحبِّ _ قدرْ.

وأصدِّقُ

أنّا في الغيبِ

سحابٌ..

ومطرْ..!



مثّلت لهم حياة وأملاً ونافذة على الجمال

شعراء مدحوا المدن بذاكرة مُشرعة على التخيّل

القوافي: خاص

هنــاك مــدن سـطرت ملاحـم التاريــخ، وأخـرى أصبحـت رمـزاً للصمـود، ومـدن خاطبـت الوجـدان. فهـذه المـدن التـي تتغير بمـا تملكـه وتمنحـه، كانـت حافـزاً للشـعراء علـى مـرّ العصـور، فكتبـوا عنهـا؛ فدمشـق التـي كتب عنهـا البحتري، كانـت غيـر دمشـق التـي كتـب عنهـا نـزار قبانـي، فمـا يبقـى فـي هـذه العلاقـة هـو الخيـط الرفيـع والسـرّي بيـن الشـاعر ومـا يربطـه بمدينـة مـا كتـب عنهـا، حفزتـه فخاطبها شـعراً.


عارف الساعدي



آدم فتحي

في هذا الاستطلاع تحدث عدد من الشعراء عن الحب الذي يفيض بالمشاعر لمدينة ما، ليأخذ مستقره الأخير في أبيات قصائدهم.

عارف الساعدي: للمكان حضور في الأدبيات العربية والعالمية

للمكان حضور بارز في الأدبيات العربية والعالمية، وبالتحديد مع الكتابة عن المدن وموقف الشعراء منها، وعلى وجه الخصوص القادمون من الريف الذين اتخذوا موقفاً من المدينة وهذا ما تجلّى في شعر السياب وآخرين كثر، وهو موقف نابع في جزء منه من التأثر الذي حصل بعد الأرض اليباب لإليوت وهي قصيدة هجاء في المدينة.

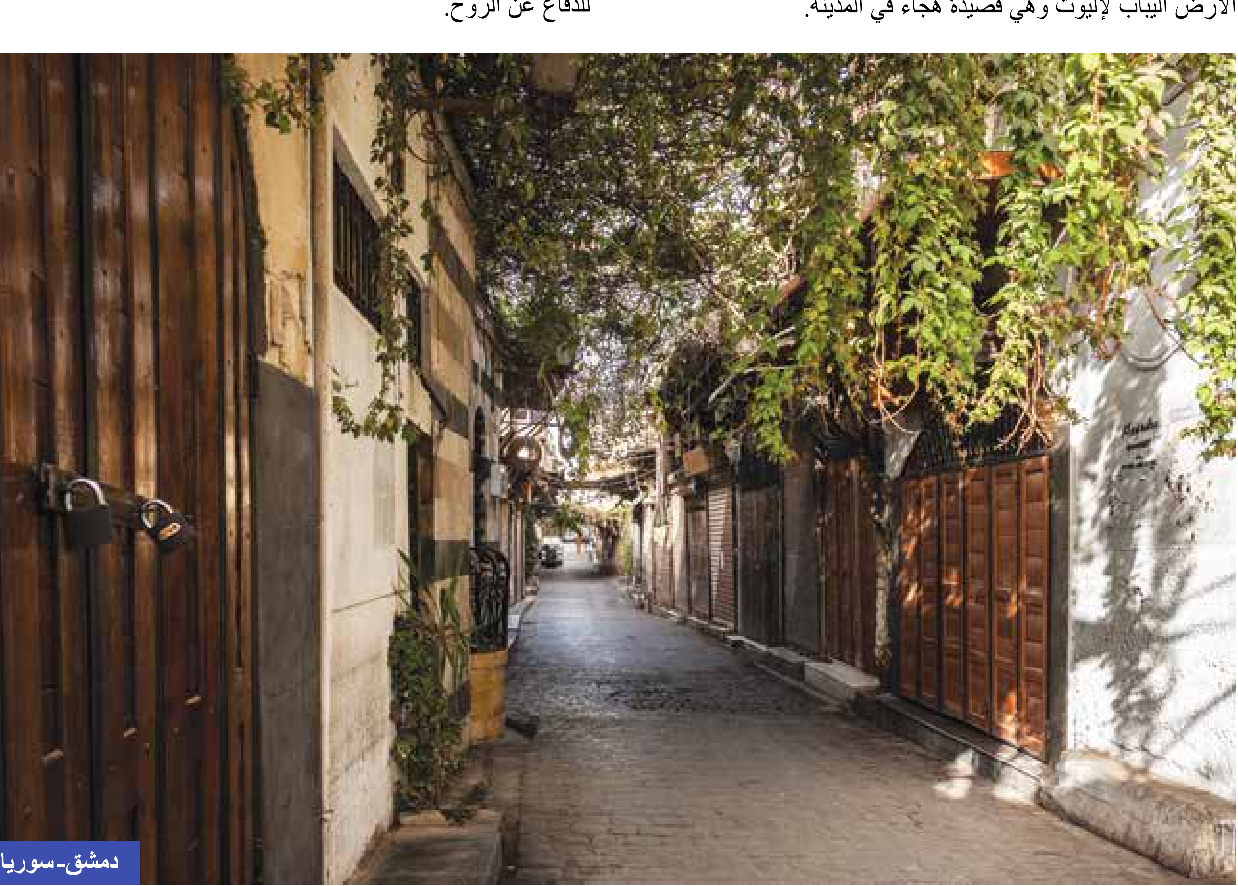
لكن يبقى للمدن طعم خاص في الكتابة عنها وفي التغزل بها وتفاصيلها وبمقاهيها، المدينة التي طردنا منها أفلاطون لأننا لا نعجبه أو لا نزرع الفضيلة فيها وأبقى الحكماء والفلاسفة، لكنه لا يعلم أننا أبناء بررة لهذه المدينة، فقد بكينا عليها يوم انجرحت، ولم ننم ليالي يوم أكلتها السرقات. بغداد تعاملت معها كما أتعامل مع امرأة عاشقة، أبكي معها وأغنّي لها، وألوذ بضفائرها، ولي نصوص كثيرة عن تلك المدينة:

بَغْدادُ تولَدُ مِنْ دُخانِ الْقَصْفِ ثانيةً
وتَغْسِلُ وَجْهَ نَهْرَيْها
فَيَبْتَكِرُ الْحَمام

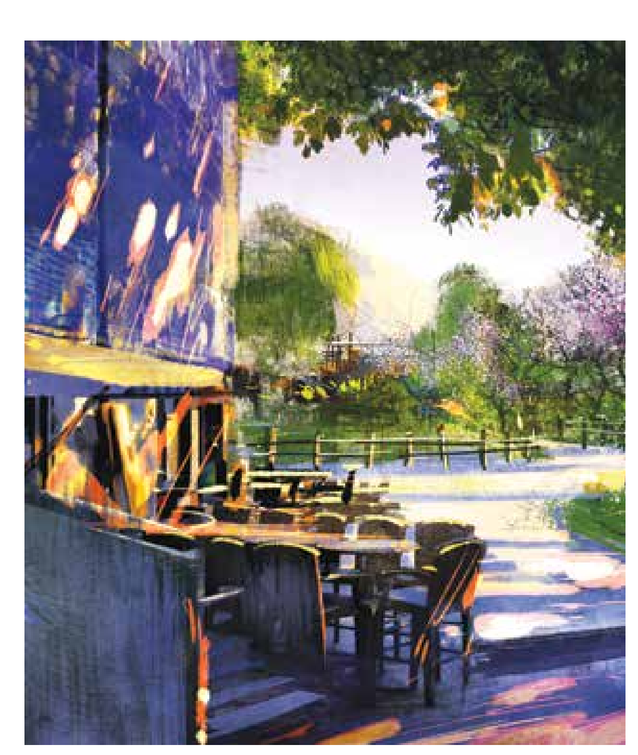
ومرّات عدّة أتعامل مع بغداد كما يتعامل طفل مع فيلم كارتون، عاشقاً سحرها وغرائبيتها, ومرّات أتعامل معها بقسوة- لأن الحياة كلّما ضغطت علينا، نجلد المدن التي ولدنا فيها ونشتمها لأنها لم تكن أماً حنونة أو أباً دافئاً.

آدم فتحي: سكنتُ اللغة فمنحتني الكتابة طاقة

أعتقد أن العالم كله فضائي؛ كان والدي رجُلَ تعليم واعتدنا أن ننتقل معه، كُنّا لا نَألفُ مكاناً إلّا اضطررنا إلى مُغادرته، وكان عليّ أن أختار بسرعة، إمّا أن أتمزّق مع كل نقلة وإما أن أجعل من ذلك التمزّق طريقة للدفاع عن الروح.


دمشق-سوريا





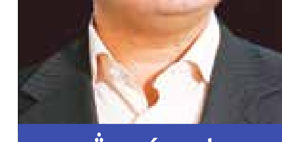
هكذا أصبحت الكتابة طريقتي لقول المكان. واستعضتُ عن النوستالجيا بالحلم. استعنتُ على الحلم بذاكرة مفتوحة على التخييل. وبحثت لي في غمرة الترحال عن مكان لا يضيع، فوجدت المقهى. مقهى في كلّ مدينة هو مرساتي ومنصة انطلاقي في آن. هكذا سكنتُ اللغة وأسكنتُ لغتي في مقهاي. فمنحتني الكتابة طاقة كأنّي هنا وهناك في وقت واحد.

من ثمّ توجد في نصوصي شظايا من «مدنٍ» عدّة في جملة عناصر اشتغال المُخيّلة. قد تكون مدناً زُرتُها أو حلمتُ بزيارتها. قد تكون حقيقية أو استعارية. وقد تكون مُدُناً مُتَخَيّلة تماماً مثل مدينة «مَا رام» التي اخترعتُها، وجعلتُ لها اسماً يُقرأ من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين، ويعني ما يُرام وما لا يُرام، كناية عن الشيء ونقيضه.

ولا أدري بالضبط كيف عبّرت عن علاقتي بالمدن في نصوصي. أنا تهُمُّنِي «المدن» بقدر ما يهمّني ساكنوها. يهمّني تشكّلها المعماري في الجغرافيا بقدر ما يهمّني تمثّلها في التاريخ العربيّ أو المتوسّطي أو الإنساني. وتأرجحها بين الواقع والأسطورة أو الشطح الصوفي. لذلك كثيراً ما نسبت نفسي إلى فضاء أوركسترالي تتجوّق فيه كلّ هذه العناصر في شكل شظايا، أعيد تركيبها وتفكيكها وتركيبها في نوع من «المونتاج» السينمائي، والعبارة التي أراها ألصق بي من «المدن» أو «المكان» هي «الفضاء». أنا حيوان لغوي، أقوم في كل قصيدة برحلات استطلاعيّة إلى الفضاء الذي تمكّنني منه اللغة، بوصفه زمناً مخترقاً للأمكنة ومكاناً عابراً للأزمنة.

فأنا أقيم في الترحال وأرحل في الإقامة، أتذكر بالتخيل. مكاني اللغة ولغتي المكان؛ وأيّا يكن الأمر، فالشعر هو الترحال الذي تصلنا فيه رائحة «مدن» الشاعر.


محمد العزّام



سامح كعوش

محمد العزّام: كتبت عن إربد ودمشق وبواتييه

المدن التي نعيش بها تعيش فينا أيضاً، كل مكان نزوره ونقضي به وقتاً من حياتنا نترك فيه قطعة منّا. وأول تجربة مع المدينة كانت مع إربد عروس الشمال الأردني وجوهرته الثمينة، إربد ذات الملامح الحورانية، بلاد القمح والزيتون والعلم. حيث قلت فيها ذات غربة:

أعْـدو وأبْحَـثُ عَنْــكِ فــي الطُّرُقاتِ
هَلْ سَــتُطِلُّ «إرْبِدُ» مِنْ وُجوهِ العابرينْ

من المدن التي أحببتها ووقعت في حبّها من أول زيارة كانت دمشق، لا يمكن أن تمرّ بها ولا تفتنك بتاريخها وأهلها وحاراتها. دمشق مدينة لا يمكن أن تشعر فيها بغربة، ولا يمكنك إلّا أن تشعر أن لك جذوراً هنا في هذه البقعة الفاتنة من الأرض؛ هذه المدينة التي لا يمكن أن تغيب عن مسرح الأحداث في العالم غالبة أو مغلوبة.

وتعرف دمشق باسم «الشام» عندنا وعند أهلها تماماً، كما يسمى المصريون القاهرة باسم «مصر» وأنا قلت فيها:

إنّها الشّامُ .. قَشّرْتُ الْحَنينَ لَها
مِنَ الدُّموعِ .. وأسْرَجْتُ النَّدى وَلَها

وحين أتحدّث عن تجربتي مع المدن، لا بدّ أن أتحدّث عن مدينة بواتييه الفرنسية التي عشت بها نحو عام ونصف، تلك المدينة المشحونة بذكرياتها مع العرب الذين انكسروا فيها في معركة بلاط الشهداء، كنت فيها كمن يفتّش عن ذاته في وجوه الآخرين ويتلمّس تاريخه بين كلمات كتب الآخرون بها تاريخهم. وكتبت في هذه التجربة قصيدة أسميتها «في مقهى بواتييه» منها:

مَرّوا خُطاماً عِنْدما لاذوا بِخاصِرةِ الْمدينَةْ:
والْخَيْلُ لا تَدْري على أيِّ الْجِهاتِ تَموتْ
أوْ في أيِّهِنَّ تُريحُ نَظْرَتَها الْحَزينةْ

سامح كعوش: المدن وشمٌ في ذاكرة الشعراء وملامحهم

تسكن المدن الشعراء والمبدعين حين يسكنونها، فهي تستوطن وعيهم ولا وعيهم، تعجن مشاعرهم بالذّكريات تشكّلها كما تشاء، فتصبح وشماً في ذواكرهم وملمحاً من ملامحهم وهويّاتهم وتجاربهم، وهنا لا أعني المدينة بمعناها الشامل والأوسع، فقد يكون ما أعنيه عنصراً من عناصر حياتها، أو جزءاً من يومياتها، أو فرعاً من فروعها، كنهر صغير أو حيّ، أو صخرة في بحر أو شاطئ أو شارع.

إربد - الأردن




مصعب بيروتية



أما أبوظبي المدينة التي أسكنها منذ ستة عشر عاماً، فقد تملّكت جوارحي وشغلتني فكراً وشعراً وأدباً وبحثاً ونقداً، وظهرت ملامحها في كل ما أنجزه، وخاصةً مكاني الأول فيها الذي كان في مقهى زاوية بشارع حمدان، كنت أراقب من خلف زجاجه العاكس الوجوه ويوميات الحياة، لوجوه البشر الذين يعيشون فيها، ويرمون بهذا الشارع كل إلى مبتغاهم.

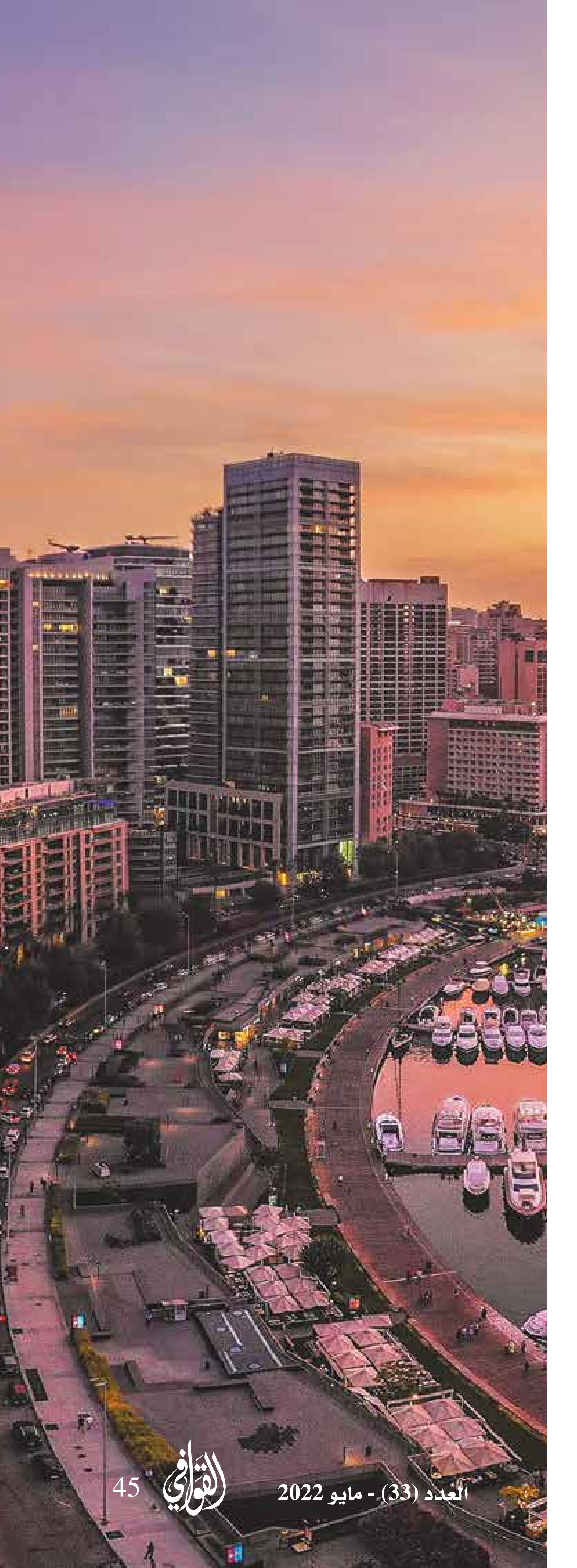
مصعب بيروتية: المدينة حضن الشاعر الدافئ

أعتقد أن المدن تعتلي مكاناً خاصّاً في القلوب؛ فالشاعر عادةً ما يعبّرُ عما يمرُّ به وفقاً لأحواله النفسية، ووفقاً لطبيعة المكان الذي يُوجد فيه. فالمدنُ حياة وأمل وحضن ونافذة للجمال والعلاقات الاجتماعية والذّكريات والماضي والحاضر والمستقبل أيضاً، هي مركب تُبحرُ به عبر الزمن رغم تلاطم الأمواج .

ولقد عبّرت عن ذلك، بقصائد عدة، منها قصيدة «قماش الذّكريات» التي استعرضتُ فيها ذكرياتي في مدينة اللاذقية وشوارعها الجميلة، وطفولتي فيها وبين أزقّتها، وكيف كنا صغاراً نلعبُ في حدائقها ونرسمُ البسمة على وجوه أهلنا، حيث قلتُ فيها:

كُنّا بِها مَحْضَ أولادٍ
هِوايَتُنا
أنْ نَسْبِقَ الْغَيْمَ
أنْ يُحكى لَنا نَبأُ

فللمدينة خصوصية في الشعر، حيث تُعدّ الحضن الدافئ للشاعر الذي يستلهم منه حبه وحنينه وسعادته وأحياناً أمله بمستقبل جميل.





افتُتن بها الشعراء على مرّ العصور والأجيال

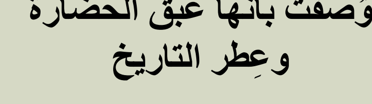
فاس المغربية..

ربوع المجد وزهرة الآداب

د. أحمد الحريشي
المغرب

«فاس والكل في فاس» هكذا يتغنّى المغاربة خلفاً عن سلف بهذه المسكوكة اللغوية، لازمةً مميّزةً، كلما ذكرت هذه المدينة الآسرة، وهي لعمري تعبر عن معضلة الإحاطة بخصائص هذه العاصمة الروحية والعلمية والتاريخية، المكتفية بذاتها للمملكة المغربية؛ إذ تجمع فيها ما تفرّق في غيرها، فلا يمكن حساب مجموعها – رياضياً - بتعداد بيوتاتها وعمرانها وإنسانها، بل هي هذا العمران الندي بفيوض الأزمنة الغابرة الغامرة، والإنسان العالم العارف المبدع والعامل في تفاعلهما الطويل الخالق لعبقرية المكان.

وُصفت بأنها عبق الحضارة وعِطر التاريخ

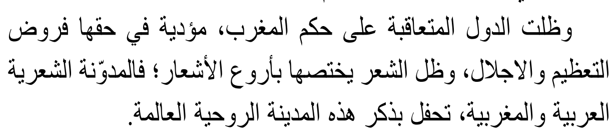


فللأمكنة العريقة ذاكرتها الحاضرة، ورائحتها الخاصة، كما أشار محمود درويش إليها، هذه المدينة المضمّخة بجمال التاريخ وخضرة الجغرافيا، ودفء المناخ وأصالة التقاليد الاجتماعية، حيث «شغلت المدينة حيّزاً واسعاً في الكتابة التاريخية عند العرب، منذ عهد بعيد، وخاصة ما تعلق منها بالمدن المقدّسة، كالمدينة المنورة، ومكة المكرمة، والقدس الشريف» .. اذ تعدّ فاس سليلة القيروان، وأخت غرناطة وامتداداً أقصى لسحر الشآم مع الحنين التاريخي للمشرق العربي.

فاس بين الاسم والرسم

أُسّست مدينة فاس في نهاية القرن الثامن الميلادي، منذ 12 قرناً، إبّان لجوء المولى إدريس بن عبدالله الهاشمي القُرشي (127هـ/743م - 177هـ/793م) الملقّب المولى إدريس الأول، إلى المغرب سنة 789م.

جاء المولى إدريس الأول إذن، ليرسم النواة الهندسية الأولى للمدينة، على الضفة اليمنى لوادي فاس بحيّ الأندلسيين، ثم أتى بعده، نجله المولى إدريس الثاني، ليكمل اللوحة مؤسساً لمدينة جديدة على الضفة اليسرى لوادي فاس بحيّ القيروانيين، نسبة إلى أصل ساكنته المنحدرة من القيروان، بإفريقيا، أي تونس حالياً سنة 808م.



وظلت الدول المتعاقبة على حكم المغرب، مؤدية في حقها فروض التعظيم والاجلال، وظل الشعر يختصها بأروع الأشعار؛ فالمدوّنة الشعرية العربية والمغربية، تحفل بذكر هذه المدينة الروحية العالمة.

ويتداول التراث الشفوي أنه «لمّا شرع المولى إدريس في بناء المدينة، كان يعمل بيديه مع البنّائين والصنّاع تواضعاً، فصنع له الناس فأساً من ذهب وفضة تكريماً له، فكان إدريس يستعمل الفأس في الحفر ورسم المخططات الهندسية، فشاع ذكر تلك الفأس بين الناس، طيلة مدة البناء، حتى أطلقوا اسمها على المدينة، فكانت عاصمة المغرب أيام الأدارسة».

وغير بعيد عن الرواية الشفوية المتداولة بين العامة، ما ذكره كتاب «الروض المعطار في خبر الأقطار»، أنّ سبب تسمية فاس بهذا الاسم «حين بُنِيَ أساسها وُجد فيه فأس، فسُميت به المدينة».

ولعل الباحث الحامل لهذه الفأس المجازية، لن ينقب عميقاً بها، حتى يكتشف التراث الشعري الكبير الذي حظيت به هذه الحاضرة العربية الإسلامية التي لا تقل شأناً في إشعاعها الشعري والعلمي، عن باقي الحواضر العربية المذكورة المشهورة.


أسوار المدينة القديمة

المكان الفاسي في الشعر المغربي الأصيل

تتعدد تجليّات المكان في الشعر العربي وتتمايز، بوصفه الحيّز النظري والمجالي والمادي، الذي يخضع خضوعاً مطلقاً للنظرة الجمالية الذوقية؛ فالمكان كالزمان تماماً، نسبي ذاتي في آن، بل إن شئت، نفسي، منذ طروحات الفلسفة المثالية.. مرتبط بالوجود والانتماء والهوية، فلا غرابة أن يحار الشاعر ابن الهبارية العباسي، في ضبط قياس الحيّز المكاني الموصل إلى الحبيبة، إذْ على الرغم من كون الطريق هي الطريق، يقول:

أرى الطَّريـقَ قَريبـاً حيـنَ أسْـلُكُهُ
إلـى الحَبيـبِ بَعيـداً حيـنَ أنْصَرِفُ

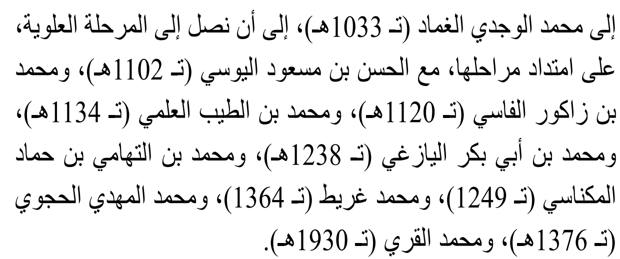
مما يطرح إشكالية طرائق تمثل المكان عند الشعراء، وهم يرتبطون به انحيازاً وانتماءً أنطولوجياً، ويربطون به مجازاً وأداءً شعرياً، ما تملي عليهم دروبه المتشابكة وبيوتاته المتعانقة تعانق أبيات القصيدة، في وحدة عضوية دافئة كصلة الرحم، تماماً كما يفضي المكان في مدينة «فاس» بعضه إلى بعض؛ فمن بساتين «جنان السبيل» إلى «زنقة العطارين» و«سوق الحنّاء» و«الصبّاغين»، إلى «باب الجلود» و«قصر البطحاء»، مروراً بمدارسها التاريخية كـ «جامعة القرويين» التي تعدّ أول جامعة في العالم، تعنى بالتعليم العالي، نقلاً وعقلاً وعلوماً حقة، باعتراف منظمة «يونيسكو»، والمدارس «البوعنانية» و«المصباحية» و«الصفارين» و«زاوية ادريس الثاني».. وغيرها من المعالم المنذورة لعبق الحضارة وعطر التاريخ، ورحيق العلم والاجتهاد، حتى صنّفت المدينة كلها موقعاً للتراث الإنساني العالمي، من «يونسيكو» أيضاً، منذ 1981. وعُدّت من أهم الحواضر العالمية العالمة العارفة، فلا غرو أن يصدح شاعرها فيها:

إنْ جُبْـتَ أُفْقـاً فَأُفْقـا
وَجُـزْتَ غَـرْبـاً وَشَـرْقَـا
وَلَـمْ تَـمُـرَّ بِـفَـاسٍ
فَـلَـمْ تَـرَ الْأَرْضَ حَـقَّـا



الشاعر محمد بوعشرين أكد فرادة المدينة

ولعلنا نقرر وبكثير من الوثوق، بأن دون الإحاطة بكل ما قيل في فاس دواوين طويلة، ولائحة أطول من أهم شعراء المغرب عبر العصور، نشير، من المرحلة المرابطية، إلى يوسف بن النّحْوي مثلاً (تـ 513هـ)، ومن الموحدية إلى عثمان بن عبدالله القيسي السلالجي (تـ607هـ) وأبي العباس الجراوي (تـ 609هـ). ثمّ المرّينية، إلى محمد بن عبدون المكناسي (تـ658هـ). والوطاسية إلى أبي عبدالله المغيلي (تـ 909هـ)، والسعدية،

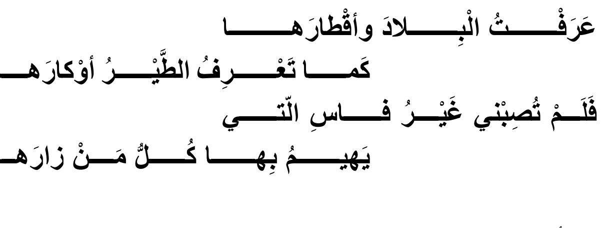


إلى محمد الوجدي الغماد (تـ 1033هـ)، إلى أن نصل إلى المرحلة العلوية، على امتداد مراحلها، مع الحسن بن مسعود اليوسي (تـ 1102هـ)، ومحمد بن زاكور الفاسي (تـ 1120هـ)، ومحمد بن الطيب العلمي (تـ 1134هـ)، ومحمد بن أبي بكر اليازغي (تـ 1238هـ)، ومحمد بن التهامي بن حماد المكناسي (تـ 1249)، ومحمد غريط (تـ 1364)، ومحمد المهدي الحجوي (تـ 1376هـ)، ومحمد القري (تـ 1930هـ).

لقد أخذت فاس مساحة شاسعة من العشق والحنين في وجدان الشعراء الذين ارتبطوا بها، على غرار ما نقرأ لأبي عبدالله المغيلي (تـ 909هـ) في وصفها، والحنين إليها، حين ولّي القضاء بمدينة أزمور:

يـــا فاسُ حيّـــا اللـــهُ أرْضَكِ مِـــنْ ثَرى
وسَـــقاكِ مِنْ صَـــوْبِ الْغَمامِ الْمُسْبِـــلِ
يا جَنَّـــةَ الدُّنْيـــا التي أرْبَـــتْ علـــى
حِمْـــصٍ بِمَنْظَرِهـــا الْبَهِـــيِّ الأجْمَـــلِ
غُـــرَفٌ على غُـــرَفٍ ويَجْري تَحْتَـــها
ماءٌ ألَـــذُّ مِـــنَ الرَّحيـــقِ السَّلْسَـــلِ
وبَســـاتِنٌ مِـــنْ سُـــنْدُسٍ قَدْ زُخْرِفَـــتْ
بِجَـــداولٍ كالأيْـــمِ أو كالْفَيْصَـــلِ

وهو الموقف نفسه الذي تلبّس الشاعر محمد بن الطيب العلمي، الذي عشق هذه المدينة العالمة التي ما فتئ يذكرها بحنين الواله الذي لم يجد عنها بديلاً يسليه، ولا نظيراً يغريه:



عَرَفْـــتُ الْبِـــلادَ وأقْطارَهـــا
كَمـــا تَعْـــرِفُ الطَّيْـــرُ أوْكارَهـــا
فَلَـــمْ تُصِبْني غَيْـــرُ فـــاسِ الّتـــي
يَهيـــمُ بِهـــا كُـــلُّ مَـــنْ زارَهـــا

إلى أن يقول:

لَئـــنْ كُنْـــتُ أُخْرِجْـــتُ مِـــنْ جَنَّـــةٍ
فإنّـــي أُحَـــدِّثُ أخْبـــارَهـــا

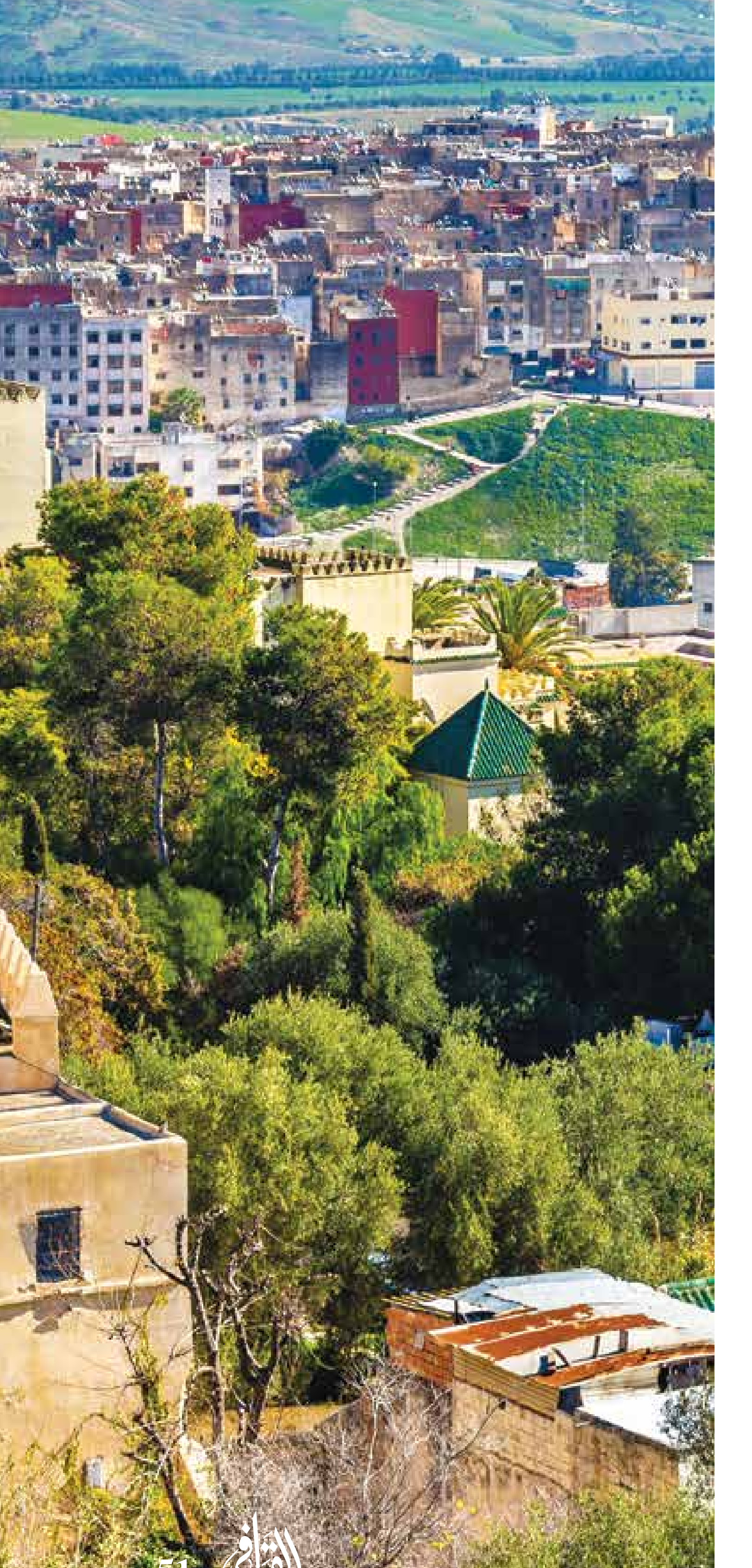
ولم يبتعد كثيراً الشاعر المغربي محمد بوعشرين، وهو من شعراء العصر العلوي، عاش في القرن الثالث عشر الهجري، الذي أكد فرادة المدينة التي تجري من تحتها الأنهار، كما يمشي فوق ثراها العلماء الأخيار:

فـــاسُ السَّعيـــدةُ أفْـــرِدَتْ بِبَهائهـــا
ودَليـــلُ ذلـــكَ بَيِّـــنٌ فـــي مائِهـــا
حاكـــى بِقُوَّتِـــهِ وصَـــوْتِ خَريـــرِه
نَبْـــعَ الْعُلـــوم يَفيـــضُ مِنْ عُلَمـائِهـــا

فقد بلغ به الإعجاب بواديها المسمّى "وادي الجواهر" - الذي ما زال إلى يوم الناس هذا، يسير باطمئنان وسط دروب فاس العتيقة - حتى قارنه بالنيل والفرات:



باب أبي الجلود



المدينة القديمة في فاس

سَلامٌ على فَـــاسٍ و«وادي الْجَواهِرِ»
سَـــلامَ مُحِبٍّ مِـــنْ صَميـــمِ السَّـــرائِرِ
ألا أيُّهـــا الْـــوادي الرَّفيـــعُ مَكانَـــةً
أتَـــذْكُرُ عَهْـــداً مِـــنْ مَـــوَدَّةِ زائِـــرِ
فإنَّـــكَ صِنْـــوُ النّيلِ ذَوْقـــاً ومَنْظَـــراً
وأجْمَـــلُ مِنْ نَهْـــرِ الْفُـــراتِ لِناظِـــرِ
وفـــي سَـــهْلِكَ الْباهي الرَّحيبِ مَسَـــرَّةٌ
ومِـــنْ شـــاطِئَيْك الزَّهْـــرُ حَيّا بِعاطِـــرِ
سَلَكْتُـــكَ طُـــولاً لِلتَّفَسُّـــحِ مُـــدَّةً
وجُزْتُـــكَ عَرْضـــاً بالقِطـــارِ كَطائِـــرِ
أُحَيّيـــكَ تَذْكـــاراً لِسالِـــفِ مُـــدَّةٍ
وأُهْديـــكَ أشْـــعاراً تَحِيَّـــةَ شاعِـــرِ
وثِـــقْ أنَّـــكَ الْمَحْبـــوبُ ماءً مُسَلْسَـــلاً
ولا زِلْـــتَ مَقْصـــوداً لِبـــادٍ وحَاضِـــرِ

شغلت حيّزاً في الكتابة التاريخية عند العرب

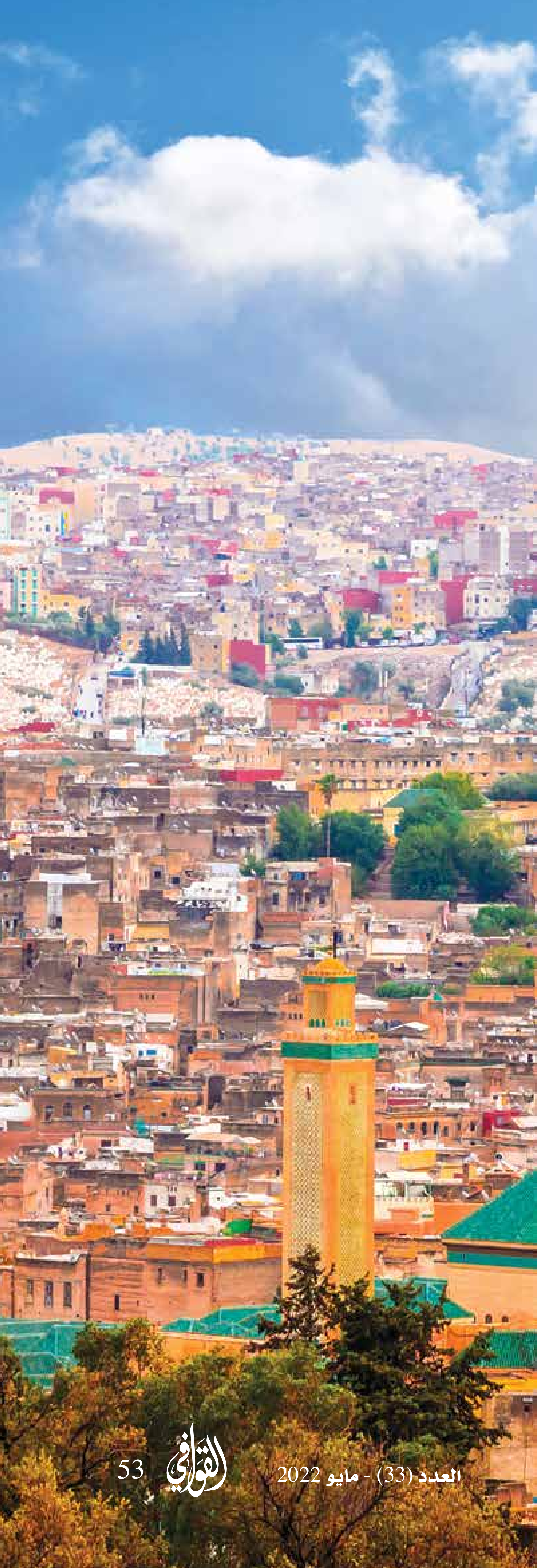
ونجد شاعرنا محمد بوعشرين وفياً لهذا الحب والعشق الأصيل للمدينة، مهما نأت به الديار وأبعدته الأسفار، مكتفياً بولع العشاق الكبار، عن العذّال والأغيار:

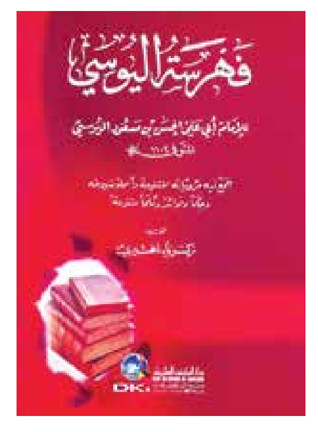
أعاذِلَتــي في حُــبِّ فَــاسٍ وأهْلِهــا
ذَرِيني فَلَيْسَ الْعَذْلُ يَشْفي مِنَ الْوَجْـدِ
بِــلادٌ بِها قَدْ هَــامَ قَلْبــي وإنْ نَــأتْ
بِجِسْمِيَ عَنْ أكْنافِهــا أيْنُــقُ الْبُعْـدِ

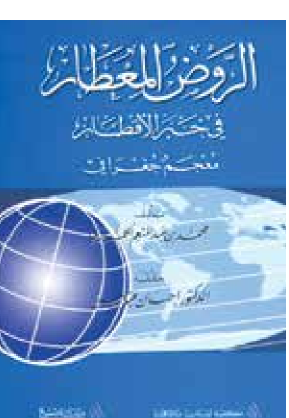
إنها مدينة الخضرة الدائمة والعبق الأبدي والأدبي والخرير المسترسل من غير انقطاع، والماء العذب الزلال، من قديم العصور؛ فها هو الشاعر يوسف بن النحوي (من رجال العصر المرابطي، مات عام 513هـ) ينحو هذا المنحى مركزاً على هذا التجلّي الطبيعي السائل:

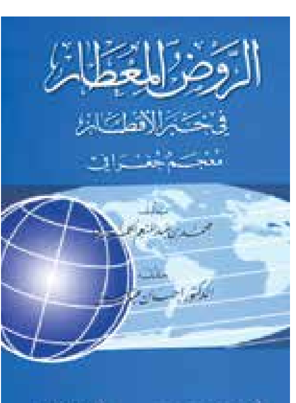
يا فاسُ مِنْكِ جَميعُ الْحُسْـنِ مُسْـتَرَقُ
وســاكنونَ لِيَهْنيهــمْ بِمــا رُزِقــوا
هــذا نَسيمُــكِ أمْ رُوحٌ لِراحَتِنــا
ومــاؤكِ السَّـلِسُ الصّــافي أمِ الْوَرَقُ
أرْضٌ تَخَلَّلُهــا الأنْهــارُ داخِلَهــا
حتّــى الْمَجالِــسُ والأسْــواقُ والطُّرُقُ

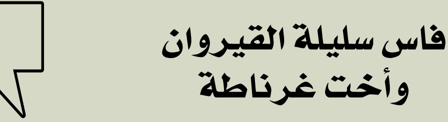
مخطوط الصادح والباغم لابن الهبارية











فاس سليلة القيروان وأخت غرناطة

وعلى شاكلته يؤكّد محمد القري (من شعراء العصر العلوي، مات 1937) هذا الخصب الأبهى والرّواء الأشهى الذي يكتفها من كل جانب، فهي مهوى النظر الحسي والعقلي:

فــاسٌ حَديقَــةُ زَهْــرَةِ الآدابِ
فــاسٌ مَجــالُ تَفاخُــرِ الألْبــابِ
فــاسٌ بِهــا مَغْنايَ إذْ أغْنَــى بِهــا
عَــنْ رَشْــفِ صَافِيَةٍ ورَصْــفِ رُضابِ

إن مدينة فاس من الأماكن الحميمة التي تقيم في قلوب من يقيم بها، ولو على عجل، فها هو محمد الوجدي الغماد، يرسم هذا الحنين المزمن بعد غياب قسري عنها:

بِعَــادٌ وَبَــيْنٌ كُــلُّ ذَاكَ يَهُــونُ
فَهَــلْ عَــوْدَةٌ بَعْدَ النَّــوى وَسُكُــونُ
وَهَــلْ أَطَأَ الْجِسْــرَ الرَّصِيــفِ وَهَلْ لَنَا
بِمَخِيفَــةٍ بَعْــد الظِّعَــانِ قُطُــونُ

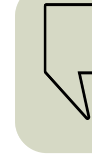


وما أشبه حال شاعرنا الغماد، بحال الشاعر محمد المهدي الحجوي المتحسر على مغادرته الاضطرارية لها، وقد أخذت من لبّه كل مأخذ:

أَغُصـــونَ الْبـــانِ مِيلـــي
واشْـرَبـي مِـــنْ سَلْسَبيـــلِ
بَيْـــنَ جَنّـــاتٍ ونَـهْـــرٍ
فـي حِمَــى ظِـــلٍّ ظَليـــلِ
هَـــذهِ جَـنَّـــةُ فَـــاسٍ
حَـفَّهَـا كُـــلُّ جَمـيـــلِ
هَـــذهِ جَـنَّـــةُ قَـوْمـــي
كَيْـــفَ أُدْعـــى لِـرحيـــلِ

إلى أن يقول:

أيَّ أرْضٍ أرْتَـضـيـهـــا
بَعْـــدَ فـــاسٍ لِحُـلـولـــي
أيَّ أرْضٍ أنْتَـقـيـهـــا
هَـلْ لِفـاسٍ مِـنْ مَثيـلِ
مـــا رَحَلْنَـــا عَـــنْ حِماهـــا
لَـــوْ وَجَـدْنـــا مِـــنْ سَبيـــلِ
غَيْـــرَ أنَّ الـدَّهْـــرَ يَشْهـــى
بُعْـــدَ خِـــلٍّ عَـــنْ خَليـــلِ



أخذت مساحة من الحنين عند الشعراء

إن محمد المهدي الحجوي – شأنه شأن شعراء آخرين - لا يكتفي في كثير من نصوصه بوصف فتنة مدينة فاس الخارجية، بل يخوض في عشقه الصادق مبرراً أسباب هذه الفتنة، شارحاً تعلقه بأهلها الأصلاء العريقين، الذين يمتازون بأناقة المظهر وطيب المخبر، بل هم فصوص الجوهر عبر العصور:

كَـــلأ الإلِـــهُ أَحِبَّـــةً بِرُبوعِهـــا
صَانـــوا عُهـــودَ مَحَبّتـــي وَوِدادي
لا غَرْوَ قَدْ وَرِثـــوا الْمَكـــارِمَ مَـــاجداً
عَـــنْ ماجـدٍ مَوْصولـــةَ الإسْنـــادِ
ورُبوعُهُـــمْ مـــا قَدْ عَـرَفْـــتُ فيا لَها
أرْضـــاً بِهـــا مُتَقَلّـــبُ الأمْجـــادِ
صَحْبـــي رَعَـــى اللهُ الْـــمَوَدَّةَ بَيْنَنـــا
ورَعَـــى حِمـــىً قَـــدْ لَمَّنـــا لِرَشـــادِ



معامل الجلود في فاس

إنّـــا لَتَجْمَعُنـــا عَواطِفُنـــا إذا
حالَـــتْ مَدائِـــنُ بَيْنَنـــا وبَـــوادِ
فَعَســـى يَلُـــمُّ الدَّهْـــرُ يَوْمـــاً شَمْلَنـــا
ويَجُـــودُ بالإسْعـــافِ والإسْعـــادِ

وعلى هذا المنوال قال محمد بن أبي بكر اليازغي (من شعراء العصر العلوي، مات عام 1238هـ) في أهل هذه المدينة المتفردة:

خَليلـــي إنّ الفَاسِيِيـــنَ لَجَوْهَـــرٌ
على جِيـــدِ هـــذا الدَّهْرِ لاحَ وأبْرَقـــا
صَغيرُهُـــمُ لِلْمَجْـــدِ يُسْـــرِعُ يافِعـــاً
وأكْبَرُهُمْ فَوْقَ السّـــماكِ قَـــدِ ارْتَقـــى

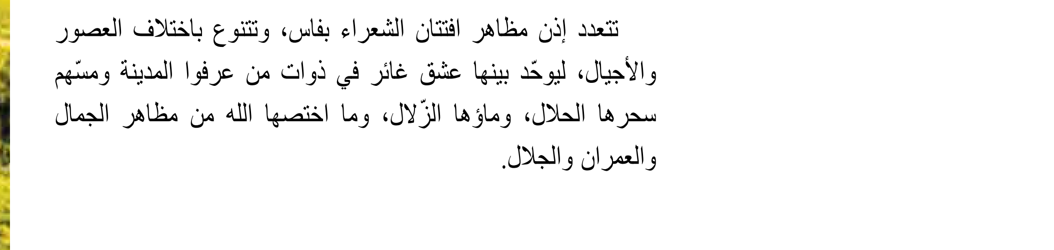
وهو الأمر الذي يؤكده الشاعر محمد التهامي بن حماد الحمادي المكناسي (من شعراء العصر العلوي، مات عام 1249هـ)، حين لامس من أهلها الفضل والكرم والعراقة والعلم:

أبِـــى الْجودُ إلّا أنْ يَكـــونَ لَكُمْ عَبْـــدا
ولا الْعُـــرْفُ إلّا مِنْ أنـــامِلِكُمْ يُسْـــدى
مَلَكْتُمْ مَلاكَ الْفَضْـــلِ قِدْمـــاً وحَـــادثاً
فأضْحَـــتْ إلَيْكُـــمْ كُلُّ مَكْرُمَـــةٍ تُهْـــدى
ولَوْ نُسِبَـــتْ يَوْمـــاً لِغَيْـــرِ جَنابِـــكُم
لَـــكانَ على وَجْـــهِ الْمَجازِ حَـــوى بُعْدا

وإذا كانت الطبيعة والأهل قد شكّلا مصدر إغراء شعري باهر، فإن عمران فاس لا يقلّ أهمية في استقطاب اهتمام الشعراء وولعهم بها، ويكفي أن نشير إلى أبيات لأبي عبدالله المغيلي، المتقدم في وصف جامع القرويين، بوصفه معلمة عمرانية وحضارية، إلى جانب كونه مقراً للتعبّد والتعلم:

وبِجامِـــعِ الْقَروييـــن شُـــرِّف ذِكْـــرُه
أنْـــسٌ تَذَكُّـــرُهُ يَهيـــجُ تَبَلْبُلـــي
وبِصَحْنِـــهِ زَمَـــنَ الْمَصيفِ مَحاسِـــنٌ
فَمَـــعَ الْعَشـــيّ الْغَرْبَ فِيـــهِ اسْتَقْبِـــلِ
واجْلِـــسْ إزاءَ «الْخَصَّةِ» الْحَسْنا بِـــهِ
وارْكَـــعْ بِهـــا عنّـــي فَدَيْتُـــكَ وانْهَـــلِ

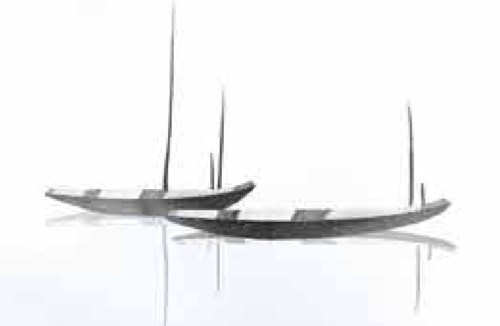
تتعدد إذن مظاهر افتتان الشعراء بفاس، وتتنوع باختلاف العصور والأجيال، ليوحّد بينها عشق غائر في ذوات من عرفوا المدينة ومسّهم سحرها الحلال، وماؤها الزّلال، وما اختصها الله من مظاهر الجمال والعمران والجلال.



الشاعر


الشيخ نوح
موريتانيا

جسـري نعـاسٌ والخُطـى متثائبَـهْ
كيـفَ العبـورُ إلـى رؤاهُ الهاربهْ؟
بَصَمَتْـهُ حوريةُ المجـازِ، وفجّرت
فـي صمتـهِ لُغَـةً تظـلُّ مواربَـهْ
مـن معجـمٍ يكتـظُّ بالإسـقاطِ - إذْ
فتْلُ الـكلامِ -غـداً يخيـطُ متاعبَهْ
ربّـى علـى كتفيـهِ منـذُ تناصتـا
طفـلَ السـؤالِ وأغنيـاتٍ شـائبَهْ
يتـوكأُ المعنـى علـى كلماتِـهِ
مشـياً على إبَـرِ الشـكوكِ الثّاقِبَهْ
ويرى القصيدةَ كالمسـدَّسِ، روحها
نصٌّ يخـونُ لـدى القـراءةِ كاتِبَهْ
متسـامحُ الفرشـاةِ يرسـمُ معبراً
للآثميـنَ إلـى الضفـافِ التائِبَـهْ
شـيخوخةُ الظمإ التـي انتبَذَتْ على
صحرائِـهِ مـاءً يخايـلُ شـاربَهْ
متفاقـمٌ فـي النـورِ يعكـسُ ليلُهُ
شـجراً منَ الأضواءِ يفضحُ حاطِبَهْ
عـكازُهُ صبـرُ الجيـاعِ فقلبُـهُ
خبـزٌ ونـورٌ للقلـوبِ الشـاحِبَهْ
هـل صوتُـهُ المثقـوبُ إلا بُحَّـةٌ
تـذرو لحنجـرةِ الريـاحِ تجاربَـهْ
كم بـاتَ يخصفُـهُ احتمـالٌ أخضرٌ
كشـفاً على عُري المرايـا الكاذبَهْ
كم فتّشـوا في النصِّ عنهُ ولم يَعُوا
أنَّ الدلالـةَ في النصـوصِ الغائِبَهْ





بيتُنا العَجوز



عبدالسلام العبوسي
سوريا

قلبي عليكَ إذا مَرَّ الحنينُ ضُحى
ولم يجِدْكَ بِرِمْشِ الغَيمِ مُتَّشِحا

ما كان للطِّينِ أَنْ يَشْقى بذاكرةٍ
لولا اشتياقٌ على جُدرانِهِ نَضَحا

جِئنا نَقُصُّ عِشاءً ظَلَّ دمعَتِنا
حتى رَسَمْنا لهُ في العَين مُفْتَضَحا

ما هَزَّتِ الرِّيحُ من أضلاعِهِ وَتَراً
إلَّا أَضاءتْ له النَّاياتُ ما جَرَحا

أُمٌّ تُوَدِّعُ في السِّتين نَجْمتَها
كأنَّ سِرْباً من الأحلامِ قد جَنَحا

أَلقَتْ إلى اليَمِّ من تَحنانِها ولَداً
إنْ مسَّهُ الحَرفُ عَرَّى الرُّوحَ وانْشَرَحا

وكمْ أَعَدَّتْ لحِضْنِ الفَجرِ أجنحةً
والحبُّ أغفى على أنفاسِها وصَحا

لو أيقظَ الثَّلجُ في النِّسيانِ نافذةً
هِمْنا بشيخوخةٍ نَسْتوقِفُ الفَرحا

بيتٌ يُكَحِّلُ للأنْهارِ ضِفَّتَها
وكُلَّما لامَسَتْ أوْجاعَهُ صَدَحا

كُنَّا على رَشْفَةٍ من حُزْنِ غُربَتِنا
نَطوي الشِّفاهَ على مِرآتِهِ قَدَحا

لا مِلْحَ في الرُّوح يَكفي طَعْمَ لَهفَتِنا
ولا جَناحَ أَبٍ في لَيلِنا سَنَحا

يا بيتَنا المنْتَشي من طولِ ما نَثَرتْ
سُمْرُ النَّخيلِ على أفراحِهِ البَلَحا

كأنَّ فانوسَهُ أَطلالُ أَخْيِلَةٍ
أَسْرَى بِها زَيتُها من غابرٍ جَنَحا

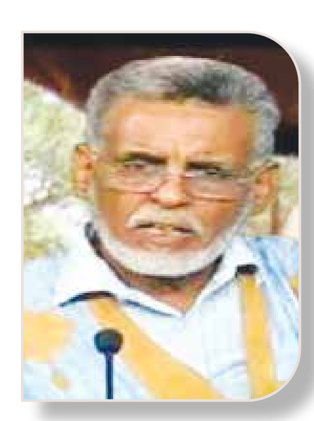
بابٌ رَسَمنا على أشجانِهِ وطناً
حدودُهُ العيدُ والوَرْدُ الذي نَفَحا

منذُ الطفولةِ ما كنَّا لِنَقرَأَهُ
حين الكلامُ على أَلوانِهِ ذُبِحا

حتى كَبِرنا وقالَ الذِّئبُ قولتَهُ
صِرتمْ خِرافاً وصارتْ أُمُّكمْ شَبَحا



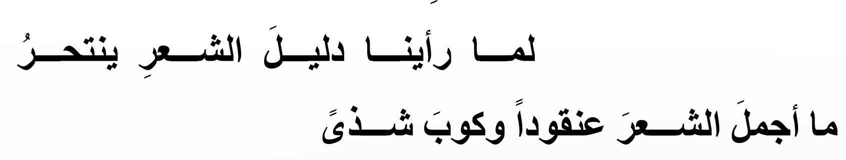
شربتها من عيوني



عبد الله السالم
المعلى - موريتانيا

مــا أروعَ الشــعرَ حين الشــعرُ ينفجرُ
كبســولةً تحتهــا الغايــاتُ تنهمــرُ

ومــا أَمَـرَّ احتفــالاتِ الرحيــلِ إلــى
منفــىً على جرحِــهِ الأعصــابُ تنتظرُ

وحَبَّــذا اللحظــةُ الأولــى لَــو اختلفَتْ

لمــا رأينــا دليــلَ الشــعرِ ينتحــرُ

ما أجملَ الشــعرَ عنقوداً وكوبَ شــذىً
ورعشــةً فــي زوايــا الــروحِ تنعصرُ

الشِّــعْرَ أغنيــةُ المنفــى متــى عزفت
عــادتْ إلــى وكرهــا الأشــواق تبتدرُ

الشــعرُ بوحٌ وذكرى واعتــرافُ هوى
وموعـــدٌ وســـريرٌ راقـــصٌ عَطِـرُ

يرتــاحُ للشــعرِ مــا ســارتْ بــه قــدمٌ
ويرحــمُ الشــعرَ حينَ الشــعرُ ينكســرُ

ما أملَحَ الشــعرَ والخنســاءُ مــن خجلٍ
بالتُّــرْبِ عــن أدعيــاءِ الشــعرِ تســتَترُ

قــرأتُ «ذاتَ مســاءٍ» حــظَّ أغنيــةٍ
من أمسِــها «الوجــعُ القدســيُّ» ينتَثِرُ

فاعشوشــبتْ خُطــواتُ السِّــحْرِ في ظمأٍ
جــاءَ الخليــجُ إلينــا منــهُ يعتــذرُ

همــا شــجياً وصوتــاً يَعْرُبــيَّ صــدى
تــكاد مــن نبضــه الأعصــابُ تنفطــرُ

وأحــرفـــاً ذهبيـــات أشــعتهـــا
فــي دفتــرِ الزمــنِ المغصــوبِ تنحفرُ

مرحــى لهــا دفقــاتٌ مِــن مُفيــدِ رؤى
تطـــوي الزمــانَ مرائيهــا وتعتصــرُ

كلُّ الناس دونَك واحدُ



سمية اليعقوبي
تونس

جَمْعاً، وَكُلُّ النَاسِ دُونَكَ وَاحِدُ
والكُلُّ فِيكَ عَلَى التَّفَرُّدِ شَاهِدُ

تَرْقِيكَ عَينِي بِالدُّموعِ، فَمِلْحُهَا
حِرْزٌ يَذُودُ، وَلَيتَ قَلْبِي الذَائِدُ

تُشْفِي صَلاَةُ العِشْقِ كُلُّ جَوَارِحِي
وَرَسُولُ وَجْدٍ جَاءَ عَنْكِ يُعَايِدُ

أَوْقَدْتُ شَوقِي فِي مَزَارِ لِقَائِنَا
لَبَّى ضِيَاءً، وَهْوَ دُونَكَ خَامِدُ

وَسَفِينُكَ المَنْشُودُ هَزَّ مَوَانِئِي
فَالشَطُّ أمٌّ وانتِظَارُكَ وَالِدُ

وَعَلَى الصَّبَايَا وُزِّعَتْ كَغَنِيمَةٍ
قُمصَانُ صَبْرِي والحَنِينُ يُرَاوِدُ

طَوَّفْتُ كَفِّي سَبْعَ مَرَّاتٍ عَلَى
رَأْسِي، أُصِيبُ العينَ لَيتَكَ سَانِدُ

لَيتَ اكْتِمَالِي فِي عُيونِكَ نَاقِصٌ
كَيمَا تَفِيضَ عَلَى الكَمَالِ زَوَائِدُ



ضِدَّينِ صِرْتُ ودَاخِلِي مُتَنَاقِضٌ
شقٌ هَوَى، والضدُّ أَنْتَ تُجَاهِدُ

مِنْ قُمْقُمِي أَخْرَجْتُ كُلَّ خَبيئَةٍ
كَيْ لاَ يَضِيقَ بِمَا سَأَطْلُبُ مَارِدُ

أَوجَزْتُ فيكَ رَغَائِبِي، خَبأْتُهَا
فَوشَتْ بِهَا كَفُّ الرَّجَا وَنَشَائِدُ

وَجَمِيعُكَ المَقْرُوءُ فَوقَ دَفَاتِرِي
كَتَبَتْهُ عَينِي والدُّمُوعُ السَّارِدُ

ونطقتُنِي فِي حَرْفِ لينٍ، لا صَدىً
سَيَرُدُّ رجْعِي، كيفَ يرْجِعُ بَائِدُ؟

لاَ ظُلّةً، تَأوِي إِليهَا وَقْفَتِي
لِعُبُورِ حَرِّكَ، قَدْ تَئِنّ ضَمَائِدُ

أَقْنَعْتُ عَينِي أَنَّ خَطْوَكَ كُحْلُهَا
لَيتَ الثَّرَى تَقْتَاتُ مِنْهُ مَرَاوِدُ

كَغَزَالَةٍ فِي الرِيحِ، تِلكَ جَدَائِلِي
شَرَدَتْ عِنَاداً، عَلَّ لَحَظك صَائِدُ

طيرٌ وذِي بلْقِيسُ رُدَّ يَقِينُهَا
مِنِّي عُرُوشٌ أَينَ مِنْكَ هَدَاهِدُ؟

صوت شعري أردني يؤمن بالتجديد

حسام شديفات:

قصيدتي تختال بصورها ومعانيها



عمر أبو الهيجاء
الأردن

يرى الشاعر الأردني الشاب حسام شديفات، أن القصيدةُ تأخذه إلى لا مكان يُجبرُه ولا زمانَ يُسيّرُه، وأنَّ العصر الرقمي سلاح ذو حدّين، بطبيعة الحال، لأنّ انتشار القصيدة صار أكثر سهولة وأوسع في المدى.



القصيدة بجميع أشكالها تحتاج إلى روح جديدة

والشاعر شديفات، صوت شعري شاب يؤمن بالتجديد والحفر عميقاً في جسد القصيدة، والكشف عن جماليات الشعر. شاعرنا حاصل على البكالوريوس في علوم الأشعّة من «الجامعة الهاشمية» في الأردن، له مشاركات داخل الأردن وخارجه، فاز بمسابقة «الهاشمية» 2016 (المركز الثاني)، ومسابقة «موهبتي من بيتي» - وزارة الثقافة الأردنية 2020 بـ (المركز الأول)، له مخطوط ديوان بعنوان «خِدعةُ سيزيف».

«القوافي» التقت شديفات، وكان هذا الحوار:

- إلى أين تأخذك القصيدة، وأنت من الأسماء الشعرية الأردنية الشابة؟

القصيدة في العصر الحالي وصلت إلى مرحلة ما بعد الحداثة، لذلك القصيدة الآن بجميع أشكالها التي نعرفها اليوم صارت تحتاج إلى روح جديدة، بغضّ النظر عن قوالبها التشكيلية. كما أنّها بنتُ جيلها، فهي في جيلها الحالي لها متطلباتُها الخاصة مِن النفَس المُختلف والخروج عن التقليد، والخوض في تفاصيل الصور المُبتكرة والموسيقى الفريدة، لأنّ البصمة الشعريّة المُختلفة مطلب لا يُساوَمُ عليه عند الشاعر الحقيقي، ومن ثمّ أردت من القصيدة التي أقدمها أن تكون لها روحها الخاصة وصورها ومعانيها التي - قدر ما أستطيع - لم تطرق من قبل، فأرى قصيدتي تأخذني إلى حيثُ البوح يسيل كالماء، والجماد ينعدم، والزمن المُطلق يصيرُ أكثرَ مرونة، فأسافرُ إلى حيثُ أتطلع، وأميل إلى حيثُ أطرب، فالقصيدةُ تأخذني إلى لا مكان يُجبرُني ولا زمانَ يُسيّرُني.



المفرق



**بيت الشعر بالشارقة
مشهد عربيّ أفضل**

- أنت الفائز بجائزة وزارة الثقافة الأردنية «موهبتي من بيتي»؛ هل هي حافز للإبداع؟ وماذا تعني لك الجوائز؟

الجوائز الثقافية، وعلى مر العصور الشعرية، مُنذُ سوق مِجنّة وعكاظ، وصولاً إلى أمير الشعراء والبُردة، وبجميعِ أسسها وشروطها وجوائزها، كانت ولا تزال حافزاً كبيراً لإنصاف الشعر الحقيقي، ودافعاً للتنافس بينَ الشعراء، للوصول إلى التفوق والتفرد والابتكار. تُثري المشهد وتجعلُه أقوى وأكثر تنافسية، وبذلك فالشعر هو المستفيد الأكبر، ومن ثم يستفيد الشعراء مِن هذه الجوائز معنوياً ومادياً في تجربتهم. أما عن تجربتي الخاصة، فالجوائز الشعرية التي لم أفز بها، فزت فيها بنصٍّ أتبنّاه.

- بيت الشعر بالشارقة، أقمت في رواقه أمسية شعرية؛ ماذا تعني هذه المشاركة؟ وكيف تقرأ دور هذا البيت في استقطاب الشعراء الشباب ودعمهم؟

الشارقة تُثبتُ يوماً بعد يوم، أنها قِبلةٌ لكل شاعرٍ حقيقيّ، سواء كانَ شاباً أم كهلاً؛ وبالطبع فإن الشباب بحاجة ماسّة وملحّة لدفعة معنوية تدعم ثقتهم بمنتجهم وبتجربتهم، وبيت الشعر في الشارقة شعلة تنير درب الكثير، نحو مشهدٍ شعريٍّ عربيٍّ أفضل.

- هل جائحة «كورونا» أنتجت شعراً يشار إليه في المستقبل؟

الجائحة حدث كغيره من الأحداث، ومرحلة كغيرها من المراحل، لها منتجها الخاص ودورها في إضافة قضية جديدة للشعر العربي. ونحنُ نعلم أنّ الشاعر مؤرّخ لعصره، وبذلك فهذه الجائحة ستكون جزءاً من هذا التأريخ الشعري بالضرورة.

- تغيير المكان للمبدع، وأثره في تجربته، وأنت لك مشاركات في مهرجان إسطنبول للشعر العربي؛ ما الذي أضافته لك هذه المشاركة؟

المهرجانات الخارجية، مثل إسطنبول، والشارقة، والمربد وغيرها من المهرجانات العربية الكبيرة، نافذة للاطلاع على تجارب الآخرين من الشعراء الكبار، وفرصة لإظهار الذات وإثراء التجربة؛ ومن ثَمّ فإنّ مثل هذه المهرجانات بالنسبة للشعراء، وللشعراء الشباب خصوصاً، تفتح أفق التجربة وتجعلها أوسع وأكثر شمولية، وهذا ما حدث معي بالضبط في مهرجان إسطنبول، خاصةً أن الجلسات الهامشية للمهرجان، كانت ثرية


حسام شديفات في بيت الشعر في الشارقة مارس 2022

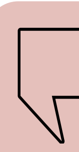
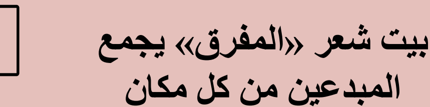




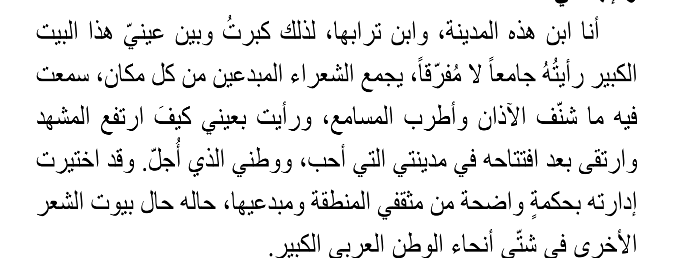
جداً بالأحاديث العميقة والمواقف الحقيقية، والمعلومات المهمة والنصائح الدافعة. فضلاً عن الاستماع إلى آراء النقّاد ووجهات نظرهم التي تغيّرُ طريقة نظر الشاعر لقصيدته، عندما يعود إليها مراتٍ ومرات، للوصولِ إلى قصيدته القابلة للنشر والمشاركة.

- كيف تنظر إلى مبادرة بيوت الشعر العربية؟

لقد رفعت هذه المبادرة، كما كان متوقعاً، الحركة الإبداعية والشعرية إلى مستوى لم نكن لنصل إليه، لولاها. وبوجهة نظري المتواضعة، فإنّ مبادرة بيوت الشعر العربية، وطريقة إدارتها، فتحت المجال كثيراً لاندماج الشعراء بعضهم مع بعض، داخل البلد الواحد، وبين البلاد العربية الأخرى. نثمّن هذا المبادرة وغيرها من مبادرات الشارقة التي استطاعت أن تسمو بالشعر والشعراء، وتعيد للشعر مكانته، فصار من السهل على الشاعر الحقيقي أن يصل إلى المنصات الكبيرة، وينقش اسمه في الأذهان.

**بيت شعر «المفرق» يجمع
المبدعين من كل مكان**

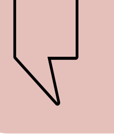


- **«بيت الشعر بالمفرق»؛ ماذا عن دوره وإسهاماته في الحراك الثقافي والإبداعي؟**

أنا ابن هذه المدينة، وابن ترابها، لذلك كبرتُ وبين عينيّ هذا البيت الكبير رأيتُهُ جامعاً لا مُفرّقاً، يجمع الشعراء المبدعين من كل مكان، سمعت فيه ما شنّف الآذان وأطرب المسامع، ورأيت بعيني كيفَ ارتفع المشهد وارتقى بعد افتتاحه في مدينتي التي أحب، ووطني الذي أُجلّ. وقد اختيرت إدارته بحكمةٍ واضحة من مثقفي المنطقة ومبدعيها، حاله حال بيوت الشعر الأخرى في شتّى أنحاء الوطن العربي الكبير.

- **هناك الكثير من المطبوعات التي تُعنى بالشعر؛ كيف تقرأ «القوافي» ودورها في خدمة الشعراء وقضايا الشعر؟**

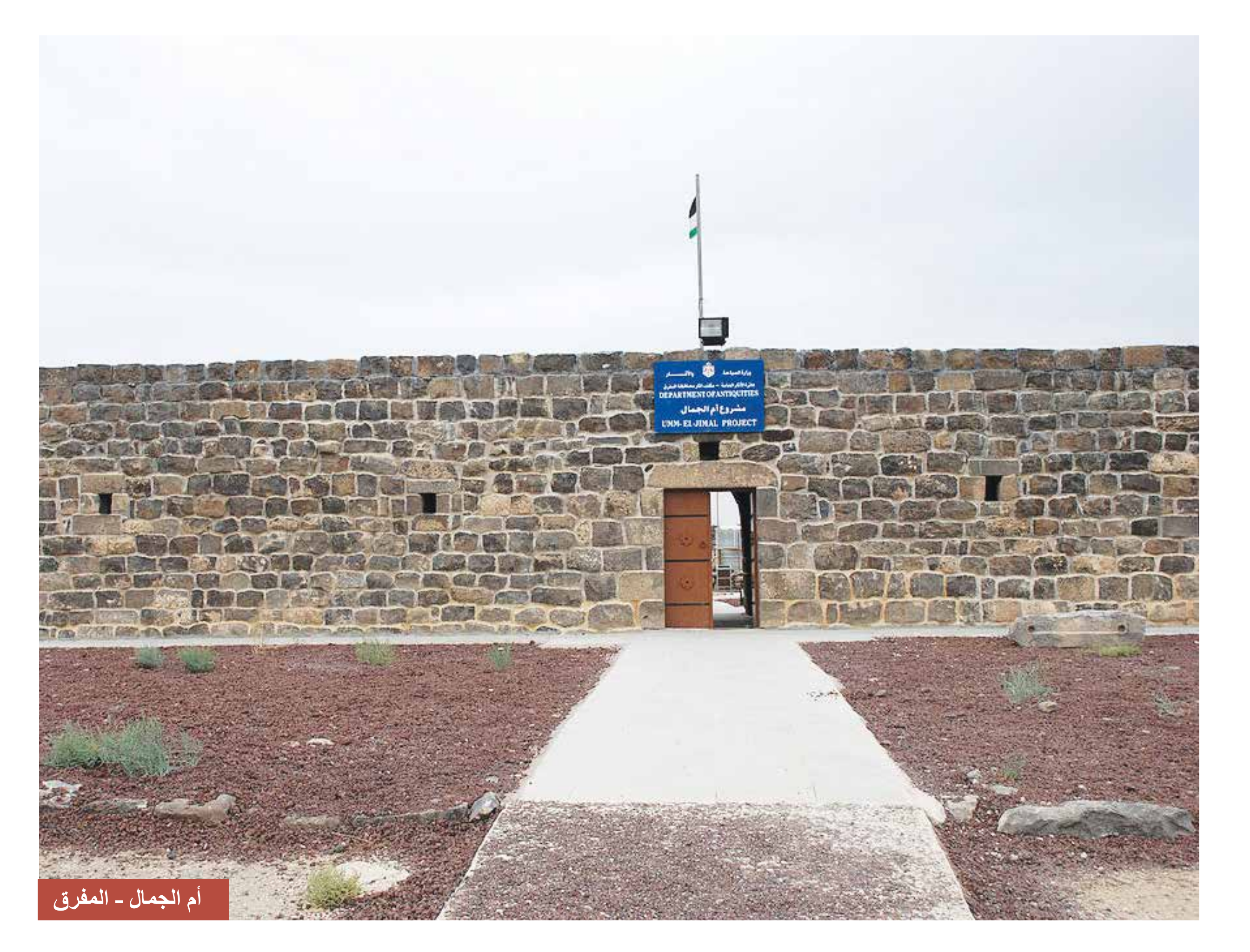
«القوافي» باختياراتها الرفيعة، حفرت لها اسماً متفوّقاً جداً في المشهد الإعلامي المعني بالأدب والثقافة، فيقرأ القارئ فيها الاحترافية والدقّة وحسن الاختيار لتكونَ كما نراها وكما نحب أن نراها دائماً، ويتطلّع الشعراء دائماً إلى منصّة ينشرون فيها أعمالها الجديدة ذات ذائقةٍ عالية. وبوجود «القوافي» وغيرها من المطبوعات المتفوقة، يجد الشاعر مكاناً يُرضي غرور قصيدته وكبرياءها.



المهرجانات نافذة للاطلاع على تجارب الآخرين

- **العصر الرقمي، ومواقع التواصل؛ ما أثر كل منهما في جسد القصيدة؟**

هما سلاح ذو حدّين، لأنّ انتشار القصيدة صار أكثر سهولة وأوسع في المدى، ولكنّني أرى أن ضررهما أكثر من نفعهما، لأنّ الجميع صارت بأيديهم هذه الأدوات، فكثر الشعراء وقلّ الشعر، وضاع السمينُ بالغثّ الكثير، ما قلل جودة القارئ والكاتب على السواء. في اليوم الواحد أقرأ مئات الأبيات على جوّالي، بينها الجيد والمبهر، والعادي، والرديء؛ وهذا يؤثر سلباً في ذائقتي قارئاً وفي جسد قصيدتي عند الكتابة. وحتى لا أكون سلبياً بالمطلق، فإنّ للعصر الرقمي ووسائله بعض الإيجابيات، مثل الوصول إلى الكتب التي تثري التجربة الشعرية بسهولة عالية، والمهرجانات الرقمية الرائدة والمواقع المؤسسية المهمة.



أم الجمال - المفرق

فمي المُتعب وإخوانُهُ



حسام شديفات
الأردن

هــذا المَســاءُ ثقيــلٌ كَيْــفَ أحملُهُ؟

هلْ يؤمِــنُ اللّيْلُ، هَل باللهِ أســألُهُ؟

هذا المَســاءُ ومارَتْ في فمــي لُغَةٌ

تَسْــتَنْجدُ الطَّلقــةَ الأُخــرى فتقتلُــهُ

رؤيايَ أشْــربُ كَأســاً والمُدامُ دَمي

رؤيــاهُ يُصلــبُ والْغربــانُ تأكلُــهُ

بالْغُرْبَتَيْــنِ يــرى كَفّــاً تُهــدِّدُهُ

ولَيْــسَ فــي وَطَــنٍ كَــفٌّ تُدلّلُــهُ

فِنْجــانُ قهوتِــهِ الْمَقْلــوبُ يُنكِــرُهُ

«فالبُنُّ» يُسْــقِطهُ «والهَيْــلُ» يَرْكلُهُ

فــي وُسْــعهِ خَيْبَةٌ أخْرى يُمَوْسِــقُها

وبَيْنَــهُ والْمَــدى يــأسٌ يُرَتّلُــهُ

لا يَرْتــدي وَجْهَهُ الْمَقْهورَ فلســفةً

لَــمْ يَبْــقَ فــي وُسْــعهِ إلّا تَقبُّلُــهُ

يُخــادِعُ الْوَهْــمَ لا شَــيْءٌ يُخادعُــهُ

يؤمّــلُ الْهَــمَّ لا سَــعْدٌ يؤملُــهُ

يُبلّــلُ الْخُبْــزَ دَمْعــاً دافئــاً ودَمَــاً

وكِســرَةُ الجُــوعِ صَيْــفٌ لا تُبلِّلُــهُ

ما أكْــذبَ الْمَــوْتَ لا «لاءٌ» ولا نَعَمٌ

حتّــى انْتَهَيْنــا لِقَلْــبٍ مــاتَ مُجْمَلُهُ

بَيْــنَ الشّــظايا وآمــــالٍ مُحَطَّمَةٍ

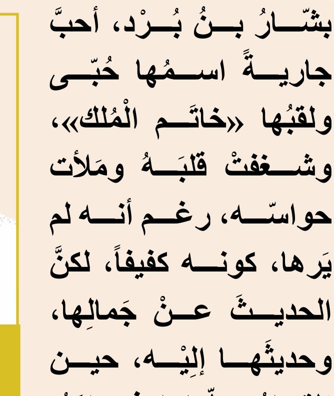
ولاتَ حِيــــنَ مَجــــازاتٍ تُجمّلُــهُ

لِلْمُتْعَبيــنَ تَعالَــوْا واحْمِلــوا شُــعَلاً

هــذا الطّريقُ طويــلٌ مَنْ ســيُكمِلُهُ؟

حدث وقصيدة

عَدِمْتُكَ عاجِلاً


فواز الشعار
سوريا

بشّارُ بنُ بُرْد، أحبَّ جاريةً اسمُها حُبّى ولقبُها «خاتَم الْمُلك»، وشغفتْ قلبَهُ ومَلأت حواسّه، رغم أنه لم يَرها، كونه كفيفاً، لكنَّ الحديثَ عنْ جَمالِها، وحديثَها إِلَيْه، حين تلقاهُ، ملّكاها فؤادَهُ؛ فكانت هذه القصيدةُ الرقيقةُ التي ضمّنها لوعتهُ وصَبابتَهُ، مع أنّه نَظم أشعاراًكثيرة، منْ فَرائدِ شِعْر «النّسيب»؛ لكنّ هذ القطعة، كانت غزلاً حقيقياً.. وقد أدّاها عدد من المغنّين.

عَدِمْتُكَ عاجِلاً يَا قَلْبُ قَلْبَا
أَتَجْعَلُ مَنْ هَويتَ عَلَيْك رَبَّا
بأيِّ مَشورةٍ وبأيِّ رَأيٍ
تُمَلِّكُهَا وَلا تَسْقِيك عَذْبَا
تَحِنُّ صَبابَةً في كُلِّ يَوْمٍ
إِلى حُبّى وقَدْ كَرَبَتْكَ كَرْبا
وَتَهْتَجِرُ النِّساءَ إِلى هَواها
كَأَنَّكَ ضامِنٌ مِنْهُنَّ نَحْبا
أمِنْ رَيْحَانَةٍ حَسُنَتْ وَطابَتْ
تَبِيتُ مُرَوَّعاً وَتَظَلُّ صَبَّا
تَروعَ مِنَ الصِّحابِ وتَبْتَغيها
مَعَ الوَسْواسِ مُنْفرداً مُكِبَّا
كأنَّكَ لاَ تَرَى حُسْناً سِوَاها
وَلا تَلْقَى لهَا فِي النَّاسِ ضَرْبَا
بَكيْتَ مِنَ الْهَوَى وَهَوَاكَ طِفْلٌ
فَوَيْلَكَ ثُمَّ وَيْلَكَ حِينَ شَبَّا
إذا أصْبَحْتَ صَبَّحَكَ التَّصابي
وَأطْرَابٌ تُصَبُّ عَليْك صَبَّا
وَتُمْسِي وَالْمَسَاءُ عَليْك مُرٌّ
يقلِّبُك الْهَوى جَنْباً فَجَنْبا
أظنُّكَ مِنْ حَذارِ الْبَيْنِ يَوْماً
بِدَاءِ الْحُبِّ سَوْفَ تَمُوتُ رُعْبا
أتُظْهِرُ رَهْبةً وتُسَرُّ رَغباً
لَقَدْ عَذَّبْتَنِي رَغَباً وَرَهْبا
فَمَا لكَ في مَوَدَّتِهَا نَصِيبٌ
سِوَى عِدَةٍ فخُذْ بِيَدَيْكَ تُرْبَا
لقَدْ خَبَّتْ عَلَيْك وَأنْتَ سَاهٍ
فَكُنْ خِبّا إِذَا لاقَيْتَ خِبَّا
ولا تَغْرُرْكَ مَوْعِدَةٌ لِحبٍّ
فإنَّ عِداتِها أنْزَلْنَ جَدْبا
ألَا يا قَلْبُ هَلْ لَكَ في التَّعزِّي
فَقَدْ عَذَّبْتَنِي ولَقيتُ حَسْبا
وما أصْبَحْتَ تأمُلُ مِنْ صَديقٍ
يَعُدُّ عَلَيْكَ طُولَ الْحُبِّ ذَنْبا
كأنَّكَ قَدْ قَتَلْتَ لَهُ قَتِيلاً
بِحُبِّك أوْ جَنَيْتَ عَلَيْهِ حَرْبَا
رَأيْتُ الْقَلْبَ لا يأتِي بَغِيضاً
ويؤثِرُ بالزِّيارةِ مَنْ أحبّا

القصيدة مَلأى بالصّورِ البلاغيةِ الجميلةِ المُعبّرةِ، فهو يَقْسمُ نَفْسهُ إلى قلبٍ وعَقْل؛ القلب مع حُبّى، والعقلُ مَعَه. ثم يسألُ العقلُ القلبَ: بأيّ مَشورةٍ ورأيٍ تُملّكُ نَفْسكَ لِحُبّى وتَسْقيها عَذْبَ حُبّك، في حين أنّها لا تبادلُكَ الشّعورَ نَفْسَه؟ لكنّ قلبَهُ يحنّ شوقاً إلَيْها في كلّ يَوْمٍ.. فازدادَ حُزناً وهَمّاً.. ويلومُ قلبهُ الذي تركَ النّساءَ جميعهنّ، كأنّه ضامنٌ بكاءهنّ عَلَيْه.
ثم يقولُ له: أمِنْ هذهِ الفتاةِ التي تُشْبِهُ الرَّيْحانة تَبيتُ فَزِعاً، وتَفرُّ منْ أصْحابِكَ وتَطْلُبُها هي وَحْدَها، كأنّك لا تَرى في النّاسِ مُشابِهاً لَها في الْحُسْن؟
واستخدم الأساليب البلاغية المعبّرة، من استعاراتٍ وتَشْبيهاتٍ وكِنايات. وكذلك البديع من جِناسٍ وطِباقٍ، بكلماتٍ سهلةٍ وواضِحةٍ. وكانت اسْتِعانَتُه ببحر «الوافر» موفّقةً، حيثُ يتميّز بالشجن العاطفيّ المعبّر.





بَشّارُ بنُ بُرْد العُقيلي. ولد عام 96 وتوفّي عام 168 للهجرة. أبو مُعاذ، شاعرٌ مَطبوع.. منَ المُخَضْرَمين، حَيْثُ عاصرَ نِهايةَ الدّوْلةِ الأُمَويّة، وبداية العبّاسية. ولد أعمى.
كان غزيرَ الشّعْر، سَمْحَ القَريحةِ، قليلَ التكلّف. وقال أئمّةُ الأدب: إنّه لَمْ يكنْ في زمنِ بَشّار بالبَصْرةِ، غَزِلٌ ولا مُغنّيةٌ ولا نائحةٌ إلا يَرْوي منْ شِعْره، فيما هو بصدده.

قالوا في القمر

القُمْرَةُ: لون إلى الخُضْرة، وقيلَ: بَياضٌ فيهِ كُدْرَة. ولَيْلةٌ قَمْراءُ: مُضيئةٌ. والقَمَرُ الّذي في السّماء، ويكونُ في الليلةِ الثالثة من الشهر، مشتقٌّ مِنَ القُمْرةِ، والجَمْعُ: أَقْمارٌ. وكثيرٌ منَ الشُّعَراء، تَغزّلوا بحَبيباتِهم، وشبّهوهنّ بالقمر.

أبو نواس:
يا قَمَرَ اللّيْلِ إذا أظْلَمَا
هَلْ يَنْقُصُ التَّسليمُ مَنْ سلَّمَا
قدْ كُنْتَ ذا وَصْلٍ فَمَنْ ذا الَّذي
عَلَّمكَ الهِجْرانَ لا عَلَّمَا
إنْ كُنْتَ لي بَيْنَ الوَرَى ظالِماً
رَضيتُ أنْ تَبقى وأنْ تَظلِمَا

قيسٍ بن الملوّح:
بَيْضَاءُ باكَرَهَا النَّعِيمُ كَأنَّهَا قَمَرٌ
تَوَسَّطَ جُنْحَ لَيْلٍ أسْوَدِ
مَوْسومَةٌ بالْحُسْنِ ذاتُ حَواسِدٍ
إنَّ الحِسانَ مَظَنّةٌ لِلْحُسَّدِ
وتَرى مَدامِعهَا تَرَقْرَقُ مُقْلَةً
سَوْداءَ تَرغبُ عَنْ سَوادِ الإثمِدِ

أبو تمّام:
قَمَرٌ تَبسَّمَ عَنْ جُمَانٍ نابتِ
فَظَلِلْتُ أَرمُقُه بعَيْنِ البَاهِتِ
ما زالَ يَقْصُرُ كُلُّ حُسْنٍ دُونَهُ
حَتَّى تفاوَتَ عَنْ صِفاتِ النَّاعِتِ
سَجَدَ الجَمالُ لِوَجْهِهِ لمّا رَأى
دَهَشَ العُقُولِ لِحُسْنِهِ المُتفَاوتِ

أبو الطيّب المتنبّي:
سَفَرَتْ وبَرْقَعَها الفِراقُ بصُفْرَةٍ
سَتَرَتْ مَحاجِرَها ولَمْ تَكُ بُرْقُعَا
نَشَرَتْ ثَلاثَ ذَوائِبٍ مِنْ شَعْرِها
في لَيْلَةٍ فَأرَتْ لَيالِيَ أرْبَعَا
واستَقْبَلَتْ قَمَرَ السَّماءِ بوَجْهِها
فأرَتْنِيَ القَمَرَيْنِ في وقْتٍ مَعَا

مسودة قصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي

ابن زيدون:
ما جالَ بَعْدَكِ لَحْظي في سَنَا الْقَمَرِ
إلّا ذَكَرْتُكِ ذِكْرَ العَيْنِ بِالأَثَرِ
ولا اسْتَطَلْتُ ذِماء اللّيلِ مِنْ أسَفٍ
إلّا عَلى لَيْلَةٍ سَرَّتْ مَعَ القِصَرِ
فَلَيْتَ ذاكَ السَّوادَ الْجَوْنَ متَّصلٌ
لَوِ اسْتعارَ سَوادَ القَلْبِ والبَصَرِ

إبراهيم ناجي:
مَهْما تَسامى مَوْضِعُكْ
وعَلا مَكانُك في الْوُجودْ
فأنا خَيالُكَ أتْبَعُكْ
ظَمآنَ أرْشفُ ما تَجودْ
قَمَرَ الأماني يا قَمَرْ
إنّي بِهَمٍّ مُسْقَمِ
أنْتَ الشِّفاءُ المُدَّخَرْ
فاسْكُبْ ضِياءَك في دَمي

دعابات الشعراء

عَلِمَ الشَّاعرُ محمود غُنيم أنَّ لصديقِه الشَّاعرِ محمَّد مصطفى الماحي مَزْرعةَ بَطٍّ، وأنَّه دعا طائفةً مِن أصحابِه إليها، فكتبَ إليه يعاتبُه:
قَدْ سَمِعْنا عَنْ بَطِّكمْ ما سَمِعْنا
فأكَلْنا بالأُذْنِ حتَّى شَبِعْنا
غَيْرَ أنَّ الأفْواهَ تَنْطِقُ هَمْساً:
ما عَرَفْنا لذلكَ البَطِّ مَعْنَى

وقال أيضاً:
باللهِ.. يا ذاتَ المُحَيَّا الضَّاحِي
قَدْ طالَ بي لَيْلِي، وأنْتِ صَباحِي
قالَتْ: أتَطْمَعُ في الوِصَالِ، ودُونَهُ
قُبَلُ النُّجومِ وأكْلُ بَطِّ الْماحِي؟!



شاهدة على الصدق والعفويّة في الحياة العربيّة

التجارب الشـعريّة المؤثّرة.. سـمات تعبيريّة منفردة



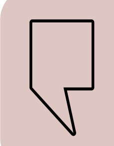
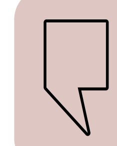
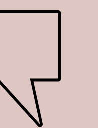
محمد طه العثمان
سوريا

يعدّ الشعر أكثر الأنواع الأدبية الإبداعية انتماءً إلى الماضي والمحافظة على أصوله، لأنه يعبّر عن ذات الإنسان ضمن تجربة نفسية ترتبط بواقعها الذي منحها سمات تعبيرية منفردة، تتردّد عبر مواقف لها ملامح تاريخية تتّصف بالتكرار، فيعيد الشاعر عواطفه ومآثر الماضي، لذلك نجد الصلة الوثيقة بين الماضي والحاضر، فضلاً عن إفادة الشعراء من الموروث السابق له.





مخطوط طبقات فحول الشعراء

عبّرت عن ذات الإنسان بملامحها التاريخية

فكان لا بدّ من بلورةٍ جديدة للأنماط الشعرية على مرّ العصور، خصوصاً أن أمْر التعددية مثبت منذ القدم، حيث نجد أن كلّ تغيير أو أفق يحاول أحد الشعراء أن يفتحه يجابه بالرفض، ابتداء بالغنائية التي فرضها الوليد بن يزيد، على القصيدة العربية، حين كان تشكيل القصيدة في غاية الصرامة، وليس انتهاء بالشعراء المحدثين في العصر العباسي الذين لم يعترفوا بالسائد ولا برأي الناقد وسلطته، حين رفضوا ما كان يسمّى «الفحولة الشعرية».

وهذا الأمر بالتحديد جعَل ابن سلّام الجمحي، يستثني أبا نواس من طبقاته، لأنه شاعر غير فحلٍ، بحسب رأيه، إذ لم يكتب على عمود الشعر، فنلحظ ردة فعلٍ قاسية من أبي نواس، على ابن سلّام والنقاد آنذاك، يقول :

قُـلْ لِمَـنْ يَبْكـي عَلـى رَسْـمٍ دَرَسْ
واقِفـاً.. مـا ضَـرَّ لَـو كانَ جَلَـسْ

ونجد ابن الأعرابي، وهو ناقد معروف آنذاك، يُعرِضُ عن المحدَث، على وجه العموم، وشعر أبي نُواس، على الخصوص، فيقول عنه «إنْ كان هذا شعراً، فما قالته العرب باطل. إنما أشعار هؤلاء المحدثين كأبي نُواس مثل الريحان يُشمّ يوماً ثم يَذْوِي فيُرمى به، وأشعار القدماء مثلُ المسك والعنبر، كلّما حركته ازداد طيباً».

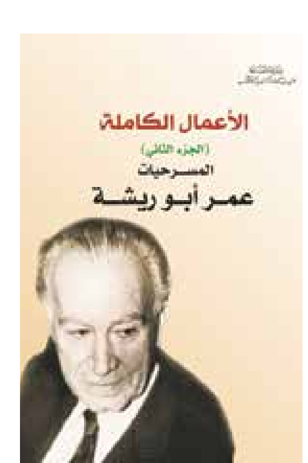
والأمر نفسه حصل في تجديد أفق الصورة عند أبي تمّام، فالنقاد القدامى ألغوه وأترابه من دائرة الشعر، وقد أدّى هذا الإلغاء بتلك المصادرة إلى وضع قوانين الإبداع في قوالب ثابتة؛ وابن الأعرابي نفسه قال لأبي تمّام «لماذا تقول من الشعر مالا يُفهم؟ فأجابه: لماذا لا تفهم ما يقال؟».

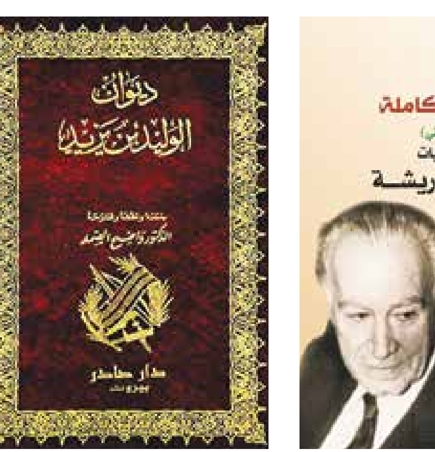
إن المتجاوزين لم يأخذوا بهذه الآراء النقدية المتأثرة بالمنطق، واعتمدوا على حدسهم الإبداعي في تطوير القدرات التعبيرية للنصّ الشعري، وتطوير الصورة الشعرية، حتى أصبحت أكثر خصوبة وأمتع دهشةً بفضل الشعراء، لا بفضل النقّاد، على الرغم من أننا لا نعدم التأثير العكسي الذي أحدثه موقف النقّاد من هذا الشعر.

إذن الأمثلة عن هؤلاء المجدّدين في الشعر العربي كثيرةٌ، فامرؤ القيس خطّ عملاً إبداعيّاً متكاملاً، بعد أن كان الشعر يعبّر عن حاجةٍ معينة أو يُهَلْهِل لغرضٍ ذاتيٍّ، يقول:

أَلِمّـا عَلـى الرَّبـعِ القَديـمِ بِعَسعَسـا
كَأَنّـي أُنـادي أَو أُكَلِّـمُ أَخرَسـا
فَلَـوْ أَنَّ أَهـلَ الـدّارِ فيهـا كَعَهْدِنـا
وَجَـدْتُ مَقيـلاً عِندَهُـم وَمُعَرَّسـا

ومن يقرأ معلقته، فسيجد تأثيرها البنائي، كالوقوف على الأطلال، ورحلة الظعائن، ثم الناقة ومشاهد السيل والخيل، فعّالاً لدرجة كبيرة في القصيدة الجاهلية والأموية؛ حيث مشت العرب على خطاه حتى مجيء





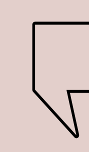
أبي نُواس وأبي تمّام، وقبلهما الوليد بن يزيد، حين قدّموا مفهوماً جديداً للتراث في الشعرية العربية، وهذا بشكل أكيد ما جعل أبا نُواس يعفّ عن الوقوف على الأطلال، أو البكاء عليها أو حتى وصف الناقة، ما جعله يفضل أغراضاً أخرى أكثر من تلك الأطلال غير المعنيّ بها في حياته المدنيّة، فاتحاً أفقاً جديداً لكسر العمود الذي احتفت العرب به، بعد أن جعله امرؤ القيس أنموذجاً.

وكذلك الأمر مع أبي تمّام الذي كسر النّسق الشعريّ، وأنكر مفهوم التراتبيّة والسطحية في الصورة الشعرية، ما جعله يَخْلُقُ عالماً خاصاً لها، عبر المزاوجة البنّاءة بين الألفاظ، إن كانت هذه الألفاظ محسوسة أو غير محسوسة.

إذن أبو نواس وأبو تمّام كانا خلّاقين في عصرهم ، مع أنّ مجتمعهما ونقّاد عصرهما كانوا رافضين لشعرهما ولأفكارهما .



عمر أبو ريشة

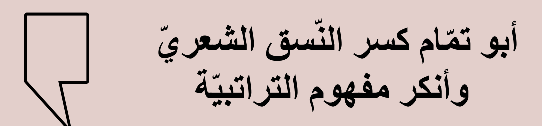



امرؤ القيس خطّ عملاً إبداعيّاً متكاملاً في الشّعر

وإذا أردنا الحديث عن أكثر تجربة عربية في الشعر القديم، خلقت إشكالية في التلقّي، فلا بدّ أن نتحدث عن أبي الطيّب المتنبّي، مالئ الدنيا وشاغل الناس؛ فالمعروف عند النقّاد أن المتنبّي من أكثر شعراء العربية عدولاً عن الأصول، وتجاوزاً عن الصيغ الفنية الثابتة. كما أنّ شعره يمثل حالة من التواصل الأدبي، وأكبر شاهد على ذلك، صمود النّصّ الذي أنتجه بصورة عفوية إلى الآن، على الرغم من كل التجاوزات التي قام بها، ومن الأمثلة على ذلك عدوله في قوله:

فِـــدى مَـــنْ علـــى الغَبْـــرَاءِ أوَّلُهم أنا
لهـــذا الأبـــيّ الماجـــدِ الجائـــدِ الْقَـــرْمِ

نجد أنه قفز على المعجم الصرفي إذ لمْ يُحْكَ عن العرب «الجائد» وإنّما «الجواد»، والمتنبّي أرادها على وزن اسم الفاعل، ففضّل عن القياس والسماع، كون السياق يتطلب ذلك، فانسجام الدلالات معاً حرّضه على جلب اسم الفاعل «الجائد» لما فيه من قوة الفعل والإمكانية المتجددة، على عكس الصفة المشبّهة التي تمثل الثبوت في الماضي والحاضر فقط . فخرج بـ «جائد»، لتعبر عن كل مكنونات الكرم حتى في زمن المستقبل؛ فالمغايرة يجب أن تحمل معها بعداً ثانياً تستفيد منه بُنَى وحدات النصّ، ومن هنا تأتي قوة تغير أي بنية صرفية أو تفعيل قالبها الأساس، إن كان غير مستعمل .



أبو تمّام كسر النّسق الشعريّ وأنكر مفهوم التراتبيّة

وهكذا مع المعرّي، أيضاً، الذي أعاد نظرته في الشعرية العربية التراثية، وعَقَدَ تساؤلاتٍ أو لِنَقُلْ استنكاراتٍ، لم تكن مطروحة قبله؛ فهو من أهمّ الشعراء العرب الذي جمع بين فلسفة الحياة والشعرية؛ فنراه يقول:

ولَمّـــا أنْ تَجَهّمَنـــي مُـــرادي
جَرَيْـــتُ مـــعَ الزّمـــانِ كمـــا أرادا
وهَوَّنْـــتُ الْخُطـــوبَ عَلـــيّ حتّـــى
كأنّـــي صِـــرْتُ أمْنَحُهـــا الـــوِدادا

حتى وصلنا إلى عصرنا الحديث؛ فالإبداع لم يتوقف والتمييز لم ينضب، وهذا ما نراه فنيّاً ولغويّاً، فأعطوا أمثلة كثيرة على ذلك، كشعر بدويّ الجبل، على سبيل المثال، الذي يمثل قمة نضج الشعر التقليدي





مخطوط لديوان أبي الطيب المتنبي

العربي، وشعره منبع للورع الديني والرّصانة والحكمة والفلسفة والقيم، ولذلك ارتفعت نبرته حين يكون الصوت المَلْحميّ صافياً، ولاسّيما في الغضبة المَلْحمية وتصوير البطل المَلْحمي. وترقُّ حين يقترب من القيم الروحية وإيقاعاتها، ولذلك هو شعر متعدّد الإيقاعات ذو نبرات مختلفة» فنراه يقول:

هَبينـــيَ حُزْنـــاً لَـــمْ يَمُـــرّ بِمُهْجَـــةٍ
فما كُنْـــتُ أرْضى مِنْـــكِ حُزْنـــاً مُجَرَّبا
وصُوغيهِ لـــي وَحْدي فريداً وأشْـــفِقي
علـــى سِـــرّهِ الْمَكْنـــونِ أنْ يَتَسَـــرّبا

ورأى آخرون أن الأمر نفسه ينطبق على شعر عمر أبي ريشة والجواهري، وغيرهما من كبار شعراء خمسينات القرن العشرين.

وهنالك من أخذ الجيد من النظريات الغربية فطعّمه مع أفكارنا ومعتقداتنا وزاوجه بها، ليستطيع عبرها إنعاش الشعر العربي الحديث، بأفكار وقضايا جديدة تكفل له القدرة على الاستمرار، فكان أن ولدت أجناس أدبية جديدة ومقولات نقدية تتناسب مع واقعنا الثقافي الحديث، فظهرت مصطلحات أدبية جديدة كـ «قصيدة التفعيلة، وقصيدة الومضة»، ومن أبرز روّادها بدر شاكر السياب، ونزار قباني ونازك الملائكة؛ إذ كان هذا التيار من النقاد والشعراء أكثر انفتاحاً على الآخر، وقد سُمّي بجيل الستينات المنفتح، كالبياتي، وأمل دنقل، ومحمد عمران، ومحمود درويش. فتحمّل الجيل الستيني مع نقاد شباب، الذين تأكدت لديهم رغبة الدرس النقدي أكاديمياً، في الحقول المعرفية على وفق المناهج الحديثة، ليتوصلوا مع المعطى النقدي الجديد درساً وبحثاً وتطبيقاً، استطاع المثابرون منهم التوفّر على أسلوبية تجلت فيها النقدية، في محاولة للارتقاء بالأثر النقدي إلى مرتبة نصّ إبداعي دون مصادرة جهد الرواد، والاتجاهات التالية أو الاستخفاف بهما، وإن تشابكت أحياناً المناهج، أو احتدم النقاش تحيّزاً لها ودفاعاً عنها، حتى تتأكد المنهجيات وتتأصل في التطبيق، على وفق آلية واضحة، وإجراءات ملموسة.



أحد الأسماء اللامعة في القصيدة العربية

ابن خفاجة..

أضاء شعره سماء الأندلس

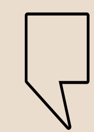






حسن شهاب الدين
مصر

ابن خفاجة الأندلسيّ، شاعر الفردوس وطائر جنَّته وأحد الأسماء اللامعة في ديوان شعرنا العربي الذي صبغ بشعره وبصوته حضارة كاملة، فهو الذي أدخل في الشعر الأندلسيّ تلك النغمة التي عُرف، بها وإذا كنا اليوم نجد في الشعر الأندلسيّ مذاقاً مختلفاً عن غيره في الشعر العربي، فإنَّ ابن خفاجة هو صاحب هذا المذاق الفريد، وأكاد أقرّر أنَّ الشعر الأندلسيّ بغير هذا الشاعر العربيّ الفذّ، إنْ هو إلا سطر آخر في سطور الشعر العربي المتشابهة.

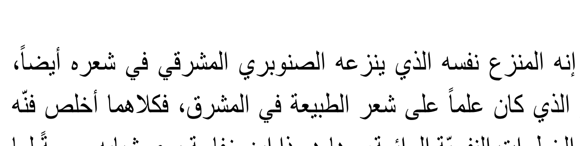


صبغ بشعره وبصوته حضارة كاملة

وسيرة هذا الشاعر هي سيرة الشعر الأندلسي في أجمل صوره، وهو أبو إسحاق، إبراهيم بن أبي الفتح بن عبدالله. ولد في جزيرة شقر من الأندلس، سنة 450 وتوفي بها سنة 533 للهجرة، وما بين هذين التاريخين كان الشعر العربي والأندلسيّ خاصة على موعد مع هذا الشاعر الفريد، ليطلّ عبر نافذة كلماته إلى فردوس الأندلس، ليحيل ديوان شِعره حديقةً غنَّاء كان هو طائرها الغرِّيد، وصوتها الناطق بالجمال، وما تزال ألوان قصائده زاهية متألّقة في ديوان شِعرنا العربي. وقد قيل في الثناء عليه قديماً وحديثاً الكثير، ويكفينا قول ابن بسّام في «الذخيرة»: «الناظم المطبوع، الذي شهد بتقديمه الجميع». وقول الحجاري في «المسهب»: «هو اليوم شاعر هذه الجزيرة، لا أعرف فيها شرقاً ولا غرباً نظيره». وقول شوقي ضيف «كان الأندلسيون يعجبون به وبشعره، حتى لَيرفعونه إلى الأفق الأعلى».

وقد أخلص ابن خفاجة لشعره، وفتنته طبيعة الأندلس الخلّابة، ويكاد يكون قد وقف شعره على التغنّي بهذه الطبيعة الساحرة، وإذا ما عرفنا أن ابن خفاجة، صوت طبيعة الأندلس الساحرة، أدركنا أنّ سرّ تميّزه يكمن في امتزاجه بها، بل توحُّده بها، فيصير هو لسانها الشاعر، وتصبح هي مرآة شعره الحيّ النابض، ولنجعل مدخلنا إلى قراءة «روضيات» ابن خفاجة هذه الأبيات التي يصف بها سرحة على نهر:

وَسَــرحَةٍ خــاضَ مِنْهــا ظِلُّهــا نَهْرا
أَوفَــتْ عَلَيــهِ فَلَــمْ تَنقُــصْ وَلَــمْ تَزِدِ
كَمــا تَدانَيْــتَ مِــنْ ثَغْــرٍ لِمُرْتَشِــفٍ
ثُــمَّ اِنثَنَيْــتَ فَلَــمْ تَصْــدُر وَلَــمْ تَــرِدِ
كَأَنَّ أَفنانَهــا طيبــاً حِمــى مَلِــكٍ
أَغْضــى وَأَعْطى فَلَــمْ يوعِدْ وَلَــمْ يَعِدِ



قنديل لامع ونجم
زاهر بالأندلس

هذه الصنعة اللفظيّة في الأبيات وتكرار نهايات الأبيات ليست هي كل شيء، بل هي مجرد حبال نصبها لنا الشاعر لنتأرجح معه على خيوطها؛ فبينما يدنينا من الشيء حتى نكاد نلامسه، بل نقبض بأيدينا إذا به يجعله يفرُّ منها. والبيت الثاني خاصة يصف لنا مقدار عشق الشاعر للطبيعة وفتنته الحسّية بها وكيف تتخلق الصورة في مخيلته. أما البيت الثالث فيؤكد لنا أن الطبيعة هي الملاذ الأول والأخير لهذا الطائر الغرّيد، ولا تكتمل تجربة شاعرنا مع الرياض إلّا إذا اتَّحدَ بها، يشكو إليها وتشكو إليه، ويفهم عن طيورها كما يقول:

وَسَــرحَةِ وادٍ هَزَّها الشَّــوْقُ لا الصَّبا
وَقَدْ صَــدَحَ العُصْفــورُ فَجْــراً فَهَيْنَما
أَطَفْــتُ بِهــا أَشْــكو إِلَيْهــا وَتَشْــتَكي
وَقَــدْ تَرْجَــمَ المُــكّاءُ عَنْهــا فَأَفهَمــا

وليس هذا فحسب بل يصل إلى ذروة الاتحاد في قوله:

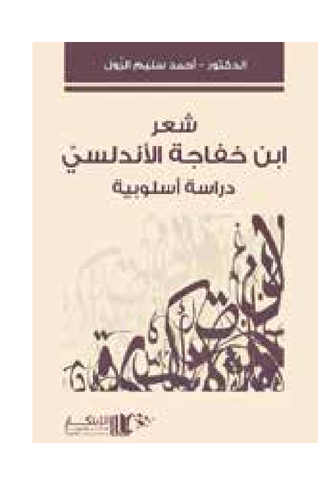
وَحَسْــبُكَ مِــن صَــبٍّ بَكــى وَحَمامَةٍ
فَلَــم يُدْرَ شَــوْقاً أَيُّمــا الصَــبُّ مِنْهُما

إنه المنزع نفسه الذي ينزعه الصنوبري المشرقي في شعره أيضاً، وهو الذي كان علماً على شعر الطبيعة في المشرق، فكلاهما أخلص فنّه لتلك الخطرات النفسيّة الرائعة، وها هو ذا ابن خفاجة يرى شبابه سرحةً لها ظلّ كان يندى فيرسل إليه سلام المودع:

وَيــا ظِــلَّ الشَــبابِ وَكُنْــتَ تَنْــدى
عَلـــى أَفْيـــاءِ سَــرْحَتِكَ السَّــلامُ



جزيرة شقر





أحال ديوان شِعره
حديقةً غنّاء

وشاعرنا معروف بتشبيهاته الرائعة، وهي في معظمها في قالب الطبيعة الأخّاذ، وإليك هذا التشبيه من قصيدة يصف فيها الجبل:

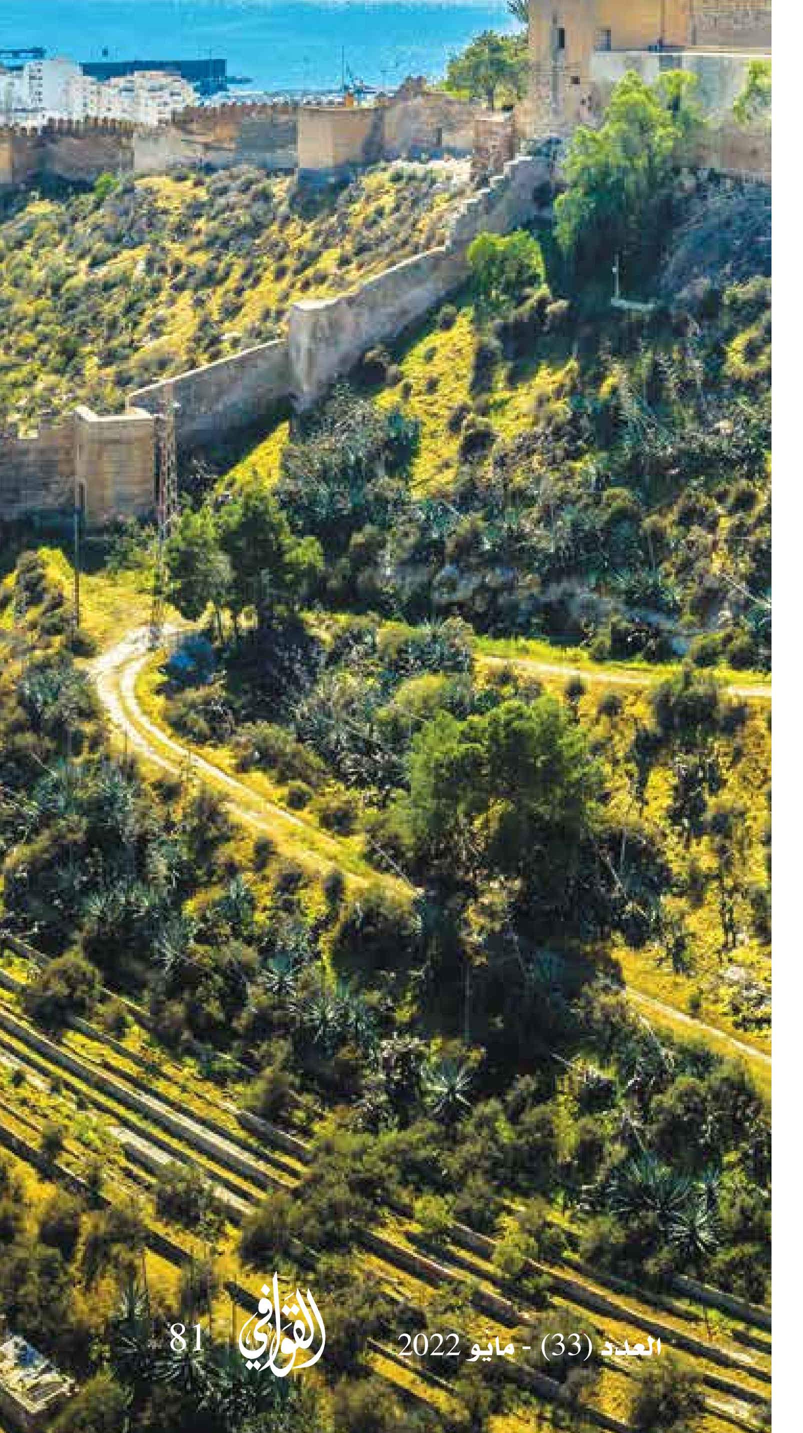
وأشــرَفَ طَمّــاحُ الذّؤابَــةِ شــامِخٌ
تنطّــقَ بالْجَــوْزاءِ لَيْــلاً لَــهُ خَصْــرُ
وَقُــورٌ علــى مَــرِّ اللّيالــي كأنَّمــا
يُصيــخُ إلــى نَجْوى وفــي أذْنــهِ وَقْرُ

وهي غير قصيدته الخالدة في وصف الجبل التي مطلعها:

وأرْعَــنَ طمّــاحِ الذُّؤابــةِ بَــاذخٍ
يُطــاولُ أعْنــانَ السَّــماءِ بغــاربِ

وهي أشهر من أن نشير إليها لأنها راسخة كالجبل الذي تصفه في ديوان شِعرنا العربي، ولكننا أحببنا أن نلقي الضوء على رائيته، ليعلم القارئ مدى تفرّد شاعرنا في هذه الناحية، ونحن نكاد نلامس في ألفاظه صنعته الفذّة، وقدرته على التصوير، حيث تفيض لوحاته حياة وحباً، وتنتشر فيها الأصباغ الفنية لصورة جميلة مغرية، فهو لا يدع الوصف حتّى يتمّه، ويمنح موصوفه الصفات التّي تكتمل بها صورته في أذهاننا؛ فصورة ابن خفاجة ليست مجرد كلمات تلتصق في بيت شعر، وتقوم بينها علاقة هشَّة، بل هي ألفاظ تتلاقى وتتعانق وتلمس حواسَّك، حتى يتبدّى لك مقدار ما يبذله شاعرنا من جهد فني في قصائده.

ولم يقتصر ابن خفاجة على وصف طبيعة الأندلس الساحرة من أزهار وأشجار، بل تعدّاها إلى سمائها التي تتّشح بالغيم، وقناديل نجومها المزهرة، وليلها الهرم كما في هذا البيت الرائع:



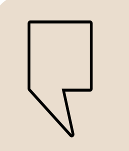
واللّيـلُ مُشـمَطُّ الذّوائِـبِ كبـرَةً
خَـرِفٌ يَـدُبُّ علـى عَصا الْجَـوْزاءِ

ثم يتبعه بوصف أخَّاذ للفجر القادم فيقول:

والْفَجْـرُ يَنْظـرُ مِـنْ وَراءِ غَمامَـةٍ
عَـنْ مُقلَـةٍ كُحِلَـتْ بهـا زَرقـاءِ

ويصف الليل مرة أخرى في إحدى قصائده التي تتنفس بالإبداع فيقول:

ولَيْـلٍ كَمـا مَـدَّ الْغُـرابُ جَناحَـهُ
وسـالَ علـى وَجْـهِ السِّـجِلّ مِـدادُ
بِهِ مِنْ وَميـضِ الْبَرْقِ واللّيـلُ فَحْمَةٌ
شَـرارٌ تَرامـى والْغَمـامُ زِنـادُ
سَـرَيْتُ بِـهِ أُحْييـهِ لا حَيّةُ السُّـرى
تَمـوتُ ولا مَيْـتُ الصّبـاحِ يُعـادُ



تفيض لوحاته الإبداعية حياة وحباً ودهشة

والأبيات شاهدة على القدرة الابتكارية في التصوير لدى ابن الأندلس وشاعرها الفذ.

وهذه لوحة رائعة تجمع في بيتين الشمس والغيم، فيقول:

وارتَـدّ للشَّـمْسِ طَـرْفٌ
بـهِ مِـنَ السُّـقمِ فَتْـرَهْ
يَجـولُ لِلْغَيْـمِ كُحْـلٌ
فِيـهِ ولِلْقَطْـرِ عَبْـرَهْ

وأما طيور تلك الطبيعة الساحرة، فيراها بعين إبداعه، ويرسم لها لوحة رائعة في تلك الأبيات:

ألا أفْصَـحَ الطّيْـرُ حتـى خَطَـبْ
وخَـفّ لَـهُ الْغُصْـنُ حتّـى اضْطرَبْ
وتَنَـدّى بهـا فـي مَهَـبِّ الصَّبـا
زَبَرْجَـدةٌ أثْمَـرَتْ بالذَّهَـبْ
تَفَـاوَحُ أنفاسُـها تَـارَةً
وطَـوْراً تُغازِلُهـا مِـنْ كَثَـبْ
فَتَبْسِـمُ فـي حَالَـةٍ عَـنْ رِضـاً
وتَنْظُـرُ آوِنَـةً عَـنْ غَضَـبْ


جزء من أسوار جزيرة شقر العربية القديمة

ومرة أخرى يلتقط تلك الصورة الجميلة لها:

أفصـحَ غِرّيـدٌ بهـا مُطْـرِبٌ
نَقّشَ مِـنْ طِـرْسٍ قُدامـى جَنـاحْ
فَهَـلْ تَـرى أسْـمعَ غُصَـنَ النَّقـا
فَهَـزّ مِـنْ عِطْفَيْـهِ هَـزَّ ارْتِيـاحْ

ويطول بنا الأمر إذا تتبّعنا ما في ديوان ابن خفاجة من شعر يتصل بالروضيات، فالحقيقة التي لا مراء فيها أن ديوانه روضة ضاحكة تجمع كل المتع والفتن، ولا شك أيضاً أن الأندلس الخالدة الجمال، هي التي أوحت إليه كل هذا الفن الرائع، فملأت ديوانه عبقاً، وصوراً خالدة، فهو يعترف بفضل الأندلس عليه، ويرى فيها صورة من الجنة، ولهذا فهو يبشّر أهل وطنه بألّا يخافوا من النار، كما يقول في أبياته الشهيرة:

يَـا أَهْـلَ أَنْدَلُـسٍ لِلَّـهِ دَرُّكُـمُ
مـاءٌ وَظِـلٌّ وَأَنهـارٌ وَأَشْـجارُ
مـا جَنَّـةُ الخُلْـدِ إِلّا فـي دِيارِكُـمُ
وَلَـوْ تَخَيَّـرتُ هَـذا كُنـتُ أَختـارُ

ونختتم مقالنا عن طائر الجنة الأندلسية بهذين البيتين اللذين يصفان مدى عشقه لوطنه الحبيب، وشغفه بفردوسه:

إنَّ لِلْجَنّـةِ، فـي الأندَلـسِ
مُجْتَلـى حُسْـنٍ وريّـا نَفَـسِ
فـإذا مـا هَبَّـتِ الرّيـحُ صَبـاً
صِحْـتُ وا شَـوْقي إلـى الأنْدَلُـسِ

في هذا الجمال البكر غمس ابن خفاجة ريشته، فأضاءت روحه وأضاء معها قصائده في أرواحنا، تماماً كما فعل الصّنوبري وغيرهما من شعرائنا الكبار الذين اتّسعت حدقاتهم، فأبصرت هذا الجمال الفريد، فاستجابوا لندائه، ورسموا لوحاتهم الخالدة التي لا يجفّ طلاؤها، لأن أرواحنا صارت هي المرآة التي تتراءى فيها صور هذا الجمال الفاتن الأخّاذ.

إنّي بعيدُ



عضيب عضيبات
الأردن

إنّي بعيدٌ، هل يراكِ بعيدُ؟
لم يُرضكِ التقريبُ والتوكيدُ
كم قلتِ لي -يا حُرّةً في رأيِها-:
"يكفي"، وهذا قولُكِ المعهودُ
فأنا بعيدٌ، غيرَ أنّي كلّما
غيّرْتِ رأيَكِ قافِلٌ، وأُريدُ
بيني وبينَكِ؛ هذه حالُ الجميـ
ـعِ، مُشابَهونَ كأنّنا تقليدُ
ها أصدقائي في الأقاصي إنّما
إنْ قيلَ: عُودُوا، كلُّهم سَيَعودُ
إذْ لسْتُ وحدي مَنْ يُقسِّمُهُ الغيا
بُ على اثنتينِ وينبغي التّحديدُ
مَعَ أنّني رهن الإشارةِ، غيرَ أنّـ
ـني عاتبٌ، فمُسامِحٌ، فَسَعيدُ
ما عمرُهُ كانَ الجفاءُ خطيئةً
فلِمَ العقوبةُ طالما سأَعُودُ؟
وَلِمَ التّقصّي في كماليّاتِ ذا
كرتي هناكَ، وبعضُها موجودُ؟
هل فاقِدُ الشيئينِ يُعطي منهما
شيئًا وينسى أنّهُ مفقودُ؟
سأظلُّ أسألُ طالما أنّي يُسلْـ
ـليني الصّداعُ، أُعيدُهُ وأَزيدُ
وبلا مؤاخذةٍ، بعيدٌ مثلما
قرّرْتِ، لكنْ، هل يراكِ بعيدُ

فرس الشطرنج

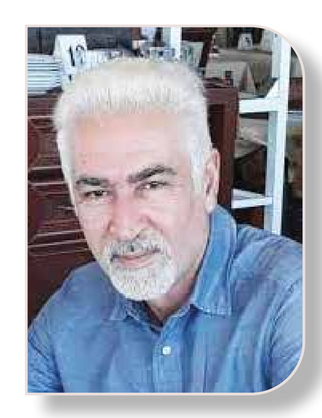


وداد العاقل
أمريكا

يكفي مِنَ الحبِّ ما ذقناهُ مِنْ وجعِ
وما عرفناهُ مِنْ خوفٍ ومِنْ فزعِ
فراقبِ اللهَ في قلبٍ تملّكَهُ
هواكَ واستحضرِ النّجوى وأنتَ معي
كرَّهْتني بـ (ودادي)فانسلختُ بها
عَنِ المُسمّى فغصَّ النهرُ بالبجعِ
فلا تردَّ الّذي قدْ كَانَ مِنْ ألمٍ
إلى الفناجينِ أَوْ تنْسبْهُ للودعِ
فالحبّ ليس كعرضِ السّركِ ندخلهُ
كِي نقضيَ الوقتَ بين اللعْبِ والخُدعِ
وليس مجلسَ مُفتٍ أهلهُ اختلفوا
في نظرةِ الشرعِ والأعرافِ للبدعِ
الحبُّ أشبهُ بالإدمانِ مُتعتُهُ
أَنْ تستديرَ إلى اللاوعيِ حين تَعي
والحبُّ فاتنةٌ وشّتْ أنوثتَها
بما تجيدُ من الإغواء والدّلعِ
بضحْكةٍ لا تُراعي الله في أحدٍ
ولا تفرّقُ بين السبتِ والجُمَعِ
تقول إنْ فرسُ الشطرنجِ سالمةٌ
ما هَمّني لو أصيبتْ باقيَ القطعِ



انبعـــــات



مردوك الشامي
سوريا

أبوحُ بالطيبِ حينَ القلبُ يحترقُ
وأصبحُ الكونَ لمّا أضلعي مِزقُ

أنا المسافرُ في الأوراقِ بوصلتي
حبرٌ يضيءُ وشِعري تعرفُ الطرقُ

عكازتي الشمسُ كم تشقى لتسندَني
وشرفتي الريحُ ما نخّت لها العنقُ

أبيعُ وقتي لسمسارينِ من ورقٍ
ولا أبالي إذا ما غشّني الورقُ

كأنني المنتهى بدئي وخاتمتي
قيدُ الترابِ وروحي كادَ تُمتشقُ

أفلسفُ النهرَ ، أتلو غيمةً ومدىً
أموسقُ الرملَ أقلامي أنا القلقُ

وأمسحُ الحقلَ لو صبّارةٌ تعبتْ
من انتظارِ فَراشٍ مسّهُ الغسقُ

وأشربُ البحرَ ظمآناً إلى امرأةٍ
كمنبعِ الشهدِ فوقَ البحرِ تندلقُ

أنا العصافيرُ تعلو غيرَ آبهةٍ
بمنطقِ القنصِ، وقتَ الموتِ تنعتقُ

وترسمُ الأفقَ تلويحاً وزقزقةً
فلا يعودُ إلى أحوالهِ الأفقُ

حسبي أنا آخرُ العشّاقِ أكثرُهُمْ
موتاً من الحبِّ، رغمَ الموتِ أنبثقُ

أحيا أنا طالما شِعري سيبعثُني
وطالما ظلَّ في حِبري أنا رمَقُ

فلسفته لها طابع خاص في المناجاة الوجدانية

الظَّمأ في قصائد الشعراء..

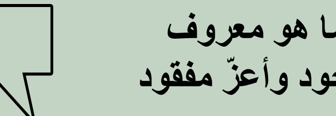
حبّ وتوق إلى الحياة





عقبة مزوزي
الجزائر

كثيراً ما تتجاوز الكلمات دلالاتها واجتماع حروفها في الشعر العربي، ويبلغ بها الارتكاز على الرمز واستخدامه المنتهى من بلوغ أقاصي الكلام والمعاني في استعمال المفردة الفكرة، ولأن الماء أهون موجود وأعزّ مفقود، كما يقول المثل، وهو أصل الحياة كما يعرف كل بشري، فإن حب الإنسان له تجلّى صرحاً عالياً يكشف أمامه سيقان روحه وجذور وجوده، ومجده إلى حد بعيد.



الماء كما هو معروف
أهون موجود وأعزّ مفقود

ولأن لفقد الماء الحياة باباً من أبواب الفناء، وطريقاً إلى الموت لا يعرفها إلّا من خاض غمرات الهلاك ظمأ وعطشاً، فإن اللغة العربية الوصّافة كعادتها، لم تبخل من الأسماء والصفات في توصيف حالة فقدان الماء من عطش شديد وغليل، وصديان، أو الصّادي أو الصّدي والظّامئ والعطشان والمسعور، وكلها تدل على حاجة ماسّة إلى ما يبلل الرمق من ماء، ويعيد الحياة بعد وشك ذهابها.

لكن الاستعمال الشعري لهذه الكلمة تجاوز ظاهرها الوجودي المتعلّق بمجرد ارتواء الجوف من ماء، إلى بواطن كثيرة روحانية ووجدانية وحتى فلسفية، حيث تبحث الروح في عوالم العتمة والوضوح عن ريّ عطش من نوع آخر، بماء لا يرى ومن سحاب لم يخطر على بال بشر. ففي قول طرفة بن العبد مثلاً:

كالْعِيسِ في الْبَيْداءِ يَقْتُلُها الظّما
والْماءُ فَوْقَ ظُهورِها مَحْمولُ

يورد حكمة امتلاك الشيء وعدم الانتفاع به، بل حتّى بلوغ المهلكة والمطلوب ماثل أمام طالبه.

وفي قَول الْكُمَيْتُ مادحاً آل النبي عليهم الصلاة والسلام:

إِلَيْكُم ذَوي آلِ النبيِّ تَطَلَّعَتْ
نَوازِعُ مِنْ قَلْبِي ظِماءٌ وأَلْبُبُ



يصف حالة حبّه لآل البيت التي بلغت بقلبه ولبّه حالة من الظمأ لا يشفي غليلها غير القرب منهم.

ويقول ذُو الرُّمَّةِ يَصِفُ السَّرابَ:

يَجْـرِي، فَيَرْقُـد أَحْيانـاً، ويَطْـرُدُه
نَكْبـاءُ ظَمْـأَى مِـنَ القَيْظِيَّـةِ الهُوجِ

فهو يستعير مفردة الظّمأ لوصف ساق جواد ليست كثيرة اللّحم، فجعل شحوبها ودقتها كأنه ظمأ يحتاج إلى سُقيا.

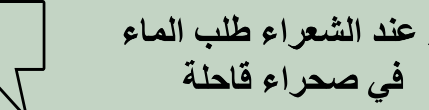
وفي قول البحتري متغزلاً:

وَبـي ظَمَـأٌ، لا يَمْلِـكُ المَـاءُ دَفْعَـهُ
إلـى نَهْلَةٍ مِـن رِيقِها الخَصِـرِ الْعَذْبِ

فهو ينفي قدرة الماء على قضاء حاجة ظمئه، ويصرح بأن لا نهلة تنفع حالته غير ريق حبيبته العذب السائغ.

وفي وصف الشريف الرضي لصحبة سار عنهم مودعاً إياهم لموتهم:

لَهَفـي علـى الْقَـوْمِ الأُلـى غادَرْتُهم
وعَلَيْهِـمُ طَبَـقٌ مِـنَ الْبَيْـداءِ
مُتَوَسّـدِينَ عَلـى الخُـدُودِ كَأنّمَـا
كَرَعـوا علـى ظَمـأٍ مِـنَ الصَّهْباءِ



هو عند الشعراء طلب الماء في صحراء قاحلة

فيصف حال دفنهم بعد موتهم، كأنّما عليهم من البَيْداء طبق، وهم في رقدة الموت مضطجعون متوسدون لخدودهم، وقد أخذت سكرة الموت أرواحهم.

ولعماد الدين الأصبهاني في باب الظمأ قوله:

أشْـتاقُكُم شَـوْق الظّمـاءِ إلـى الْحِبا
وأحِبُّكُـمْ حُـبَّ النُّفـوسِ حَياتَهـا

فهو يعبر عن شوقه إلى منح ظمئه ما يحييه شوق حب النفوس وولعها بالحياة، فيماثل بين التشبيهين شوقاً وحباً كأن ليس بينهما فرق.

كما قال رجل من بني الحارث ابن ميادة:

مُنـىً إنْ تَكـنْ حَقاً تَكُنْ أحْسَـنَ الْمُنى
وإلّا فقـدْ عِشْـنا بهـا زَمَنـاً رَغْـدا
أمانـيّ مِـنْ سُـعْدى حِسـاناً كأنّمـا
سَـقَتْكَ بِهـا سُـعْدى على ظَمـأ بَرْدا





فهو يكتفي بالأمنيات من حبيبته، لإرضاء عطش روحه إليها، وإن كانت محض أمانيّ لا تبلّ له رمقاً.

وقال شاعر آخر يصف تساوي رغبة شديدة في إطفاء عطش حقيقي، ولكن دونه مهالك، وبالرغم من ذلك فهو عازم على ألّا ينصرف عن الماء حتى يرده:

إنّـي وإيّـاك كالصّـادي رأى نَهْـلاً
ودُونَـه هُـوّةٌ يَخْشـى بهـا التّلَفـا
رأى بِعَيْنَيْـه مـاءً عَـزّ مَـوْرِدُه
ولَيْـسَ يَمْلِـكَ دونَ الْمـاءِ مُنْصَرَفـا

ويقول الطغرائي معبراً عن بعد حبيبه الذي أفقده لذّة الماء على الظّمأ، وهو بذلك يرفع محبوبه مقام الماء المفقود معنى:

إنْ سـاغَ بعـدَكَ لي مَـاءٌ علـى ظَمَأٍ
فـلا تَجَرَّعْتُ غَيْـرَ الصَّـابِ والصَّبَرِ

وفي قول الشاعر الأمير الصّنعاني العثماني، يصف رقّة لقاء مرسول محبوب وافاه بعد عطش، ليسقيه بالأحاديث عنه ويطفئ ويشعل في آن، بحكايا الغرام وكلامه فؤاد صبّ يتوق للوصل:

أهْـلاً بهـا فَلَقَـدْ وافَـتْ علـى ظَمَأٍ
تَـرْوي أحاديثَ مَـنْ نَهْـوى فَتَرْوينا
لَقَدْ أعـادَتْ لَنـا عَصْرَ الشَّـبابِ وقَدْ
شَـبّتَ لَهيـبَ غَـرامٍ فـي نَواحِينـا

وأما الشاعر مبارك بن حمد العقيلي:

ومَـا طَلَبـي لِلْماءِ مِـنْ شِـدَّة الظّما
ولَكـنْ لِكَيْمـا أنْ أراكَ تَجـودُ
فَكَـمْ مَـوْرِدٍ لـي مـا أشـاءُ وَرَدْتُهُ
مَعينـاً مَنيعـاً مـا إلَيْـه وُرودُ

فلا يستخدم كلمة الظّمأ لحاجة مادية ولا معنوية، بل ليستدعي قيمة مضافة من المطلوب وهي الجود والكرم، لأنه لو شاء لطلب غايته من أي مورد آخر مَعين مَنيع بكبرياء شاعر.

وللشاعر المصري أحمد بخيت، استخدام لطيف عميق في تصوير الشخصية المصرية الصلبة الصبورة، فهم قوم لا يشربون على كدر، وإن ماتوا عطشاً، ثم يستسقي ويسقي الشاعر السيّاب في البيت الذي يليه بحوار برزخيّ جميل، يعْبُرُ به الأمكنة من مصر إلى العراق ويؤاخي في مخياله بين دجلة والنيل، لأنهما منهل عربي كريم واحد:

لَوْ رَشْــفةُ الْمــاءِ بَعْضُ الْمَــنِّ كَدَّرها
ماتوا عِطاشى على الرَّمْضا وما رَشفُوا
أكُلّمــا ظَمِــئَ السَّــيَّابُ قلــتُ لــهُ
خُذْنــى لِدِجْلةَ ما فــي النّيلِ مُرْتَشَــفُ

وأما الشاعر عبيد الله بن أحمد بن علي الميكالي:

خَالَسْـــتُهُ قُبلَـــةً عَلـــى ظَمـــأٍ
فَذُقْــتُ مــاءَ الحَيــاةِ مِــن شَــفَتِهْ
فَارفــضّ مِــن فَــرطِ خَجلَــةٍ عَرَقــاً
فَصــارَ خَـــدّي بَديـــلَ مِنشَــفَتِهْ

فيقفز بنا إلى لهو امرئ القيس الجاهلي حين يسترق من محبوبته قبلة على ظمأ، وهي قبلة ترويه من أجمل نبع وأرقّه، ليكمل الصورة بحالة الخجل التي صنعتها مخالسته ومحاولته استدراكها بلطيف فعله.

> **الظّمأ يعني طلب الحياة حتى الرّمق الأخير**

وفي استغاثة الشاعر التونسي الشاذلي القرواشي، بقطرة الماء البعيدة الدفينة في غيمة لا ترى الأرض العطشى، يراودها أن تمرّ بعطشه القديم الذي لا بدّ صار أشدّ ضراوة إلى حدّ أفقده الرجاء في استمرار الحياة:

يــا قَطْــرَةَ الْمــاءِ الْبَعيدَةَ فــي الْمَدى
مَــدْفونـــةً فـــي الْغَـــيْمةِ الْعَمْياءِ
مُــرّي علــى عَطَشــي القديــمِ فإنّــه
قَــدْ خابَ مِــنْ فَــرْطِ الرّجــاءِ رَجائي

ويقول أمل دنقل في قصيدته «لا تصالح»:

لَمْ يَكُنْ في يَدي حَرْبَةٌ أو سِــلاحٌ قَديم،
لَمْ يَكُنْ غَيْرُ غَيْظي الذي يَتَشــكَّى الظّمأ

وفي قصيدة «فاتحة» للشاعر أبي الفرج عسيلان، تماهٍ مع اللحن والظمأ لخلق لغة تولد قبل ميلادها، لتزهو في كفّ الصحراء القاحلة، وتصنع موسمها المحموم الذي يصبّ لهيب ظمئه على سكون الكون إذ يقول فيها:

مخطوط شرح لقصيدة ذي الرمة

هذا أنا نَغَمٌ على هَجَعِ الظَّمأ
لُغةٌ لِغَيْر أوانِها
تَزْهو على كَفّ الْفَيافي لِلْحقيقةِ مَوْسماً
وتَصُبُّ في ظَمأ السُّكونِ لَهيبَها

> **أحمد أبو شهاب ابتكر مناجاة هادئة مع الظّمأ**

وفي قصيدة العطش للشاعرأحمد أبو شهاب، يتصاعد ويتهاوى مع حالات الماء والعطش مستجدياً كل واحد منهما، ويبتكر مناجاة هادئة القصيدة فيها هي الظمأ وهي سجينة الماء حين يقول:

أمْسِكْ بنا يا ماءُ كَيْ نَهْوي إلى قَبْوِ العَطَش
يا ماءُ هذا ما تبَقّى مِنْ رُفاتي فالْتَقطْ عَطَشَ الرّفاتْ
ثُمّ الْتَقِطْني في مَراثيكَ البَعيدَة
كُنْ هادئاً يا ماءُ إنْ حاوَلْتَ أنْ تَئد الْقَصيدَة
أمْسِكْ بها يا ماءُ كَيْ تَهْوي إلى بَلَدِ الشّتاتْ

وتقول الشاعرة السودانية روضة الحاج:

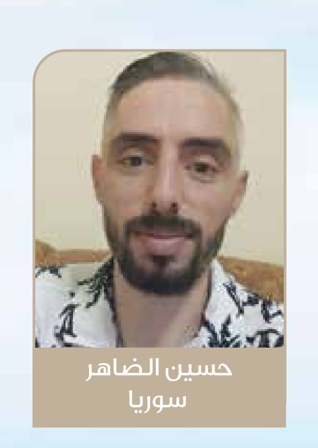
وَحْدي واللَيْلُ،
وهذا التَّوْقُ الظّامئ،
والْكَهْفُ الْمَهْجورْ..
ماذا لَوْ كانَ بإمْكاني
إسْكاتُ الْعَطشِ الأبَدِيّ بِجَوْفي
مِنْ شَرْبةِ ماء
لو أنّي أمْلك سِرّ الإرْواء..

ولا يمكن تجاوز ذكر استعمال الشعراء لمفردتي العطش والظّمأ في قصائدهم، دون التطرق إلى نحتها على جداريات عناوين دواوينهم، لإضفاء الرغبة في تتبّع ما وراء النهر الجاف، والسحاب المكتوم، والرؤى المبلّلة؛ فالقارئ أول حالة عطش أمام عنوان كتاب أو ديوان شعر، ويستفزه المعنى كلما أوغل في حاجات ذاته، والإنسان كله عطش وظمأ. ومن الدواوين التي حملت الكلمتين ديوان «كيف يحترق الظمأ» للشاعر مصطفى صوالح محمد، وديوان الشاعرة حوراء الهميلي «ظمأ أزرق»، وديوان «قطرات من ظمأ» للشاعر السعودي غازي القصيبي، وديوان «ظمأ وسراب» للشاعر عبد الرحمن الجديع، وديوان «النّبع الظّامئ» للشاعر عبد الله محمد باشراحيل، وديوان آخر للشاعر والناقد أحمد سويلم بعنوان «مرافئ الظّمأ».

عَبَّرَ عن خوالج وجدانية بأعمق الأحاسيس

الزّمن في الشّعر..

أشكال مرنة للدّلالة والمجاز


حسين الضاهر
سوريا

إن انطلقنا من فكرة تعريف الزمن بأنه عملية تقدم مستمر للأحداث، أو وسيلة لتحديدها وترتيبها ضمن قالب معين، يبدأ من الماضي، ويمرّ في الحاضر، ليكمل طريقه حتى أجل غير مسمّى، عملية لا رجوع مادياً فيها، إلا عبر الذكرى، فإننا سنلمس مدى شاعرية هذه الفكرة، وقابليتها للولوج ضمن القصيدة بأشكال مرنة ومختلفة. فالزمن، بعيداً من تعريفاته العلمية والفيزيائية، يدخل في مجازات متعدّدة تجعل منه فكرة شعرية تعبر عن خوالج الشاعر بأعمق الأحاسيس.





يدخل في مجازات تجعل منه فكرة شعرية

وقد انحاز الشاعر العربي منذ القدم إلى استخدامه، مخاطباً تارة وللوصف به، وصفاً حسّياً تارةً أخرى. لما له من مدلولات كثيرة ورمزية أكبر. فضلاً عن استحضاره ماضياً وإسقاطه على أحداث تجري في الحاضر، أو ستجري مستقبلاً، كإعادة التاريخ لنفسه، أو نوعاً من المحاكاة. وقد تطور استخدام الزمن شعرياً، تطوراً تصاعدياً؛ كونه تعبيراً مباشراً عن الوقت، ولاقترانه بحركة الكون كله. ومن هنا نلاحظ التغير في استخدام رمزية هذه الفكرة من حقبة إلى أخرى. كما تطور فهم الزمن من الشاعر في كل حقبة على حدة.

والزمن في الجاهلية قوة لا تحكّم للإنسان فيها. وفكرة تشبه القدر خيره وشره. وفي هذا يقول محمد زكي العشماوي «كان للشاعر العربي القديم موقفه من الزّمان الذي يتجسد عنده بالدّهر أو هكذا كان يرمز للزّمان، بهذه الكلمة، وكانت تعني لديه الخطر الذي يهدد الإنسان، بوصفه عاملاً مهدداً للبقاء والحياة معاً...». وتتمثل هذه الرؤية لدى شعراء العصر الجاهلي في كثير من قصائدهم، وتظهر جليةً في قول عنترة بن شداد:

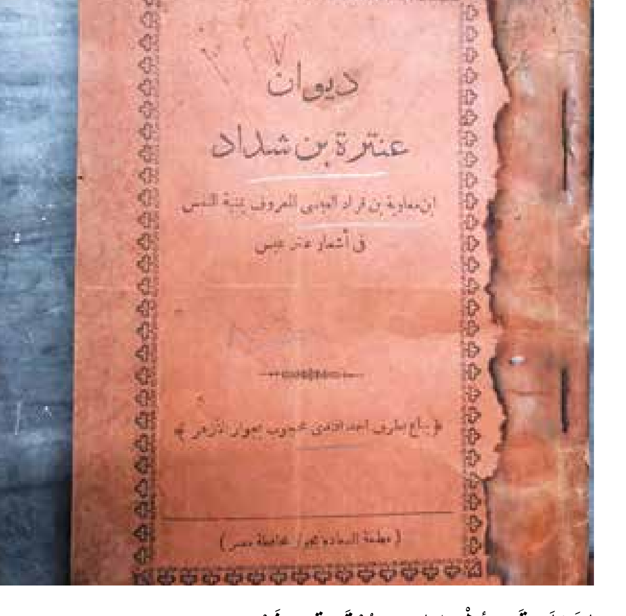
حَسَناتي عِندَ الزَّمانِ ذُنوبُ
وَفَعالي مَذَمَّةٌ وَعُيوبُ
وَنَصيبي مِنَ الحَبيبِ بِعادٌ
وَلِغَيْري الدُّنُوُّ مِنهُ نَصيبُ

ففي هذه الأبيات تظهر قوة الزمن وتحكمه بأفعال الشاعر بقلب حسناته إلى ذنوب، وأفعاله إلى عيوب، وهنا يبيّن عنترة مدى ضيق حاله وشكواه، وكأنه يخاطب الزّمان ويعاتبه على ما آلت إليه الأمور. ويكمل:

كُلَّ يَومٍ يُبري السُّقامَ مُحِبٌّ
مِن حَبيبٍ وَما لِسُقمي طَبيبُ
فَكَأَنَّ الزَّمانَ يَهْوى حَبيباً
وَكَأَنّي عَلى الزَّمانِ رَقيبُ

هنا يشبه عنترة حال الزمان معه وموقفه منه، بأن الزمان محب، لكنه صار يكن لعنترة كل بغض وصارت جميع فعاله الحميدة والكريمة ومحامده، مثالب يستحق عليها العقاب والعناء.

وللزمان في الجاهلية دلالتها المركبة المتحولة بين الزمان الحقيقي «الماضي وذكرياته، والحاضر الذي يقف على آثار الحياة وما بها من تشويه. وهنا يبرز الطلل دلالةً زمانية أيضاً. أو بتعبير أدق «زمكانية» ونستدل إليها بمعلقة طرفة بن العبد التي قال فيها:



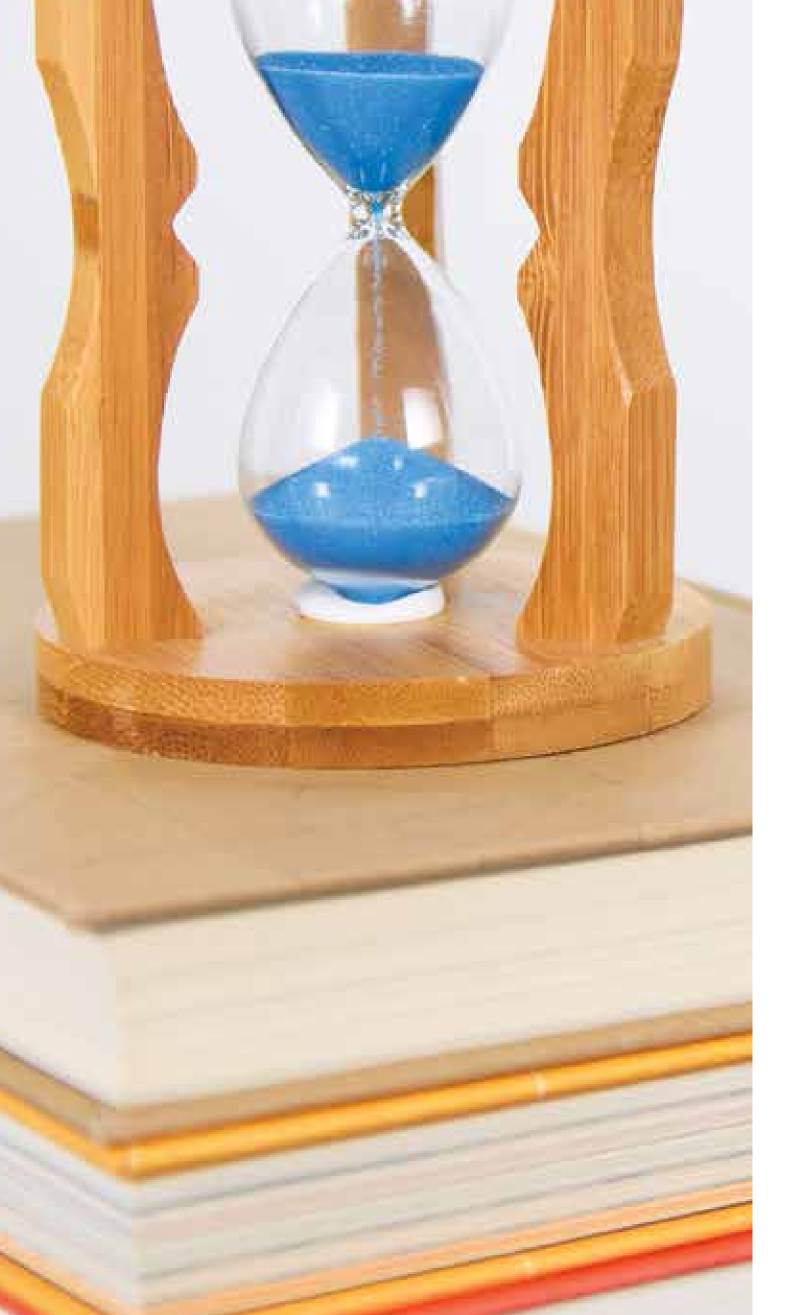
لِخَوْلَةَ أطْلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ
تلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ
وُقُوْفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ
يَقُوْلُوْنَ لا تَهْلِكْ أسىً وتَجَلَّدِ
كَأنَّ حُدُوجَ المَالِكِيَّةِ غُدْوَةً
خَلاَيَا سَفِيْنٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ

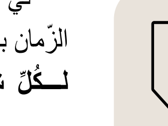
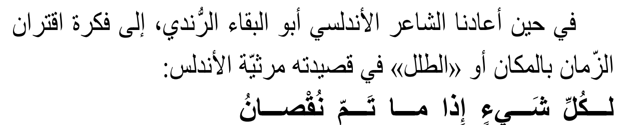
والوقوف على الطلل بحد ذاته استحضار للماضي حين كانت الديار عامرة، ومقارنته بالخراب الذي أصبحت عليه في الحاضر. ولم تقف هذه الخاصية عند قصيدة أو شاعر بعينه، بل كانت وما زالت تقنية شعرية صالحة للاستحضار بأدوات مختلفة ورؤئ متمايزة.

وعلى الرغم من الرمزية والقوة غير الملموسة التي التصقت بالزمان لدى شعراء الجاهلية، فإنه حضر لديهم في وجهه الحقيقي أيضاً، وهو التعبير عن المدة أو الوقت كما في قول امرئ القيس:

أجارَتَنَا مَا فَاتَ لَيْسَ يَؤوبُ
ومَا هُوَ آتٍ فِي الزَّمانِ قَرِيبُ
ولَيْسَ غريباً مَنْ تَنَاءَتْ دِيَارُهُ
ولَكنَّ مَنْ وَارَى التُّرَابُ غَرِيبُ

ومما سلف نستطيع القول إن الزّمان بالنسبة لشاعر «اللا مكان» هو مكان، عدا اكتساب هذا المكان خصوصية وقوى ورمزية تجعله يرافق البدوي (ابن الصحراء) رحلته الحياتية إلى ما بعدها؛ فالزّمن أو الدّهر لدى الشاعر الجاهلي مقترن بالجدب والموت أيضاً، كما في قول «أصابت البلدة سنة» أي حل عليها الخراب. والأمثلة كثيرة في هذا الشأن، ومن هذا العصر بالذات.



انحاز الشاعر العربي قديماً إلى استخدامه

مراحل لاحقة

قد لا تختلف رمزية الزمن كثيراً في هذه المراحل عن سابقاتها، إلّا بظهوره مجرداً وواضحاً أكثر، فإن قارنّا قصيدة عنترة السابقة بقول الإمام الشافعي:

نَعِيبُ زَمانَنا وَالْعَيْبُ فِينا
وَما لِزَمانِنا عَيْبٌ سِوانا
وَنَهْجو ذا الزَّمانَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ
وَلَوْ نَطَقَ الزَّمانُ لَنا هَجانا
وَلَيْسَ الذِّئْبُ يَأكُلُ لَحْمَ ذِئْبٍ
وَيَأكُلُ بَعْضُنا بَعْضاً عَيانا

سنرى المقاربة واضحة بين الشاهدين إلّا أن الشافعي في قصيدته انحاز إلى فكرة مظلومية الزّمان الذي نلقي عليه باللائمة عن كل نوائبنا، ولكن العيب فينا. كذلك كانت رؤية البحتري حين قال:

وَنَعْذِلُ الدَّهْرَ أَنْ وافى بِنائِبَةٍ
وَلَيْسَ لِلدَّهْرِ فيما نابَنا أَرَبُ
أَرضى الزَّمانُ نُفوساً طالَما سَخِطَت
وَأعتَبَ الدَّهرُ قَوْماً طالَما عَتِبوا

في حين أعادنا الشاعر الأندلسي أبو البقاء الرُّندي، إلى فكرة اقتران الزّمان بالمكان أو «الطلل» في قصيدته مرثيّة الأندلس:

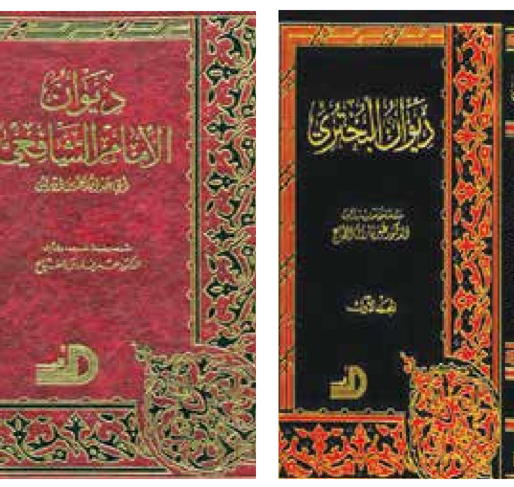
لِكُلِّ شَيءٍ إِذا ما تَمّ نُقْصانُ
فَلا يُغَرَّ بِطيبِ الْعَيْشِ إِنْسانُ
هِيَ الأُمُورُ كَما شاهَدتُها دُوَلٌ
مَنْ سَرّهُ زَمَنٌ ساءَتهُ أَزْمانُ
وَهَذِهِ الدّارُ لا تُبْقي عَلى أَحَدٍ
وَلا يَدُومُ عَلى حالٍ لَها شانُ
يُمَزِّقُ الدَّهرُ حَتْماً كُلَّ سابِغَةٍ
إِذا نَبَتْ مَشرَفِيّات وَخرْصانُ
وَيَنتَضي كُلَّ سَيفٍ لِلْفَناء وَلَوْ
كانَ ابنَ ذي يَزَنٍ وَالغِمدَ غِمدانُ

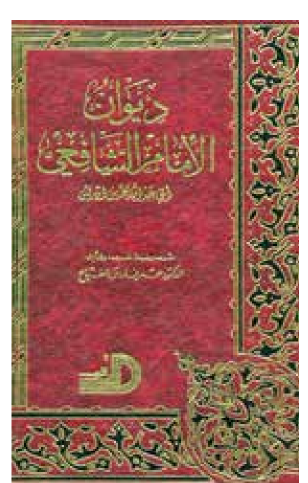
هذا كان استحضار الزّمن الماضي وما به من حياة رغيدة، إلى الحاضر الذي شهد انهيار دولة الأندلس.

الزّمن الحداثي

تتضح الرؤية الحداثية للزمن وتزداد تعقيداً في الوقت ذاته، فيصبح الزمن أقل وطأة وأكثر التصاقاً بالشاعر، وفي مفهوم آخر؛ يتّحد الزّمن بالشّعر اتّحاد الكلمة للكلمة، وقد عبّرت الحداثة عن فهمها للزمن بأوجهه المتعددة، علمياً وواقعياً وفلسفياً، وعن الأخيرة وصلتها بالشعر يقول باشلار «الشاعر، لكي ينشئ لحظة مركبة، لكي يربط بهذه اللحظة تزامناتٍ عدّة، يهدمُ الاستمرارية العاديّة للزّمن المتسلسل». وهنا تبرز لحظة القصيدة ووقعها على نفس الشاعر عن لحظة اللا قصيدة، ويظهر تنقله المستمر بين



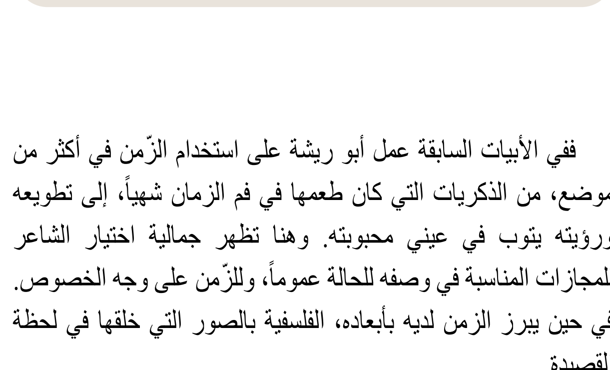




زمنين مختلفين، متناقضين؛ زمن يخلقه هو بأبعاده وامتداداته وخيالاته، وزمن آخر مفروض عليه، وهو الواقع الذي يعيشه. كما صعدت في هذه المرحلة الشعرية مجازية القصيدة وتعبيراتها عن الفكرة.

يقول عمر أبو ريشة:

لا تُغَنّي فإنّ حَشْرَجَةَ الْمَيْتِ
وجَهْشَ النُّعاةِ في مَسْمَعَيّا
أتُغَنّينَ ذِكْرياتي وكانَتْ
كَوْثراً في فَمِ الزّمانِ شَهِيّا
وأرى تَوْبَةَ الزَّمانِ بِعَيْنَيْكِ
فأنْسى ما قَدْ أساءَ إلَيّا



الزّمن في الجاهلية قوة لا تحكّم للإنسان فيها

ففي الأبيات السابقة عمل أبو ريشة على استخدام الزّمن في أكثر من موضع، من الذكريات التي كان طعمها في فم الزمان شهياً، إلى تطويعه ورؤيته يتوب في عيني محبوبته. وهنا تظهر جمالية اختيار الشاعر للمجازات المناسبة في وصفه للحالة عموماً، وللزّمن على وجه الخصوص. في حين يبرز الزمن لديه بأبعاده، الفلسفية بالصور التي خلقها في لحظة القصيدة.

وفي الحقبة الشعرية نفسها يطلعنا أمير الشعراء أحمد شوقي، على فهمه للزّمن حين يشتغل على زمانين مختلفين، ويحاول إظهار الفوارق بينهما، فيقول:

مــا كانَ في ماضــي الزَّمــانِ مُحَرَّماً
لِلنَّــاسِ فــي هـذا الزَّمَـانِ مُبَـاحُ
صاغـوا نُعُـوتَ فَضائــلٍ لِعُيُوبِهِـمْ
فَتَعَــذَّرَ التَّمْيِيــــزُ والإِصـلاَحُ

أما محمد مهدي الجواهري، فقد أمعن في رمزية هذه الفكرة حين قال:

تحـــدَّى الْمَــوْتَ واخْتَـزَلَ الزَّمانــا
فَتــيً لــوّى مِــنَ الزَّمَـنِ العِنانــا
فتــيً خَبَـطَ الدُّنــى والنّــاسَ طُـرّاً
وآلــى أن يكونَهمــا، فكانــا

وهنا، عند الجواهري، تتضح تقليدية الطرح في القصيدة، والمصبوغة بحداثية المعنى وما بعده، حين ذهب في مدح الشاعر أبي الطيّب المتنبّي، بالتغنّي بتحديه الموت، ذاك الفتى الذي لوى من الزّمن العِنانا. ومن الملاحظ في عصر الحداثة الشعرية أيضاً استسهال الشاعر فكرة الزمن، حيث لم يعد له ذاك الطغيان الذي فرضه على شعرية المراحل السابقة.



عنترة خاطبه معبراً عن ضيق حاله وشكواه

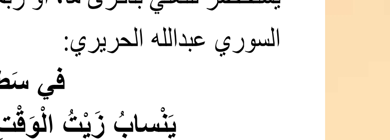
عبدالله الحريري ومحمد الجبوري



العصر الرقمي

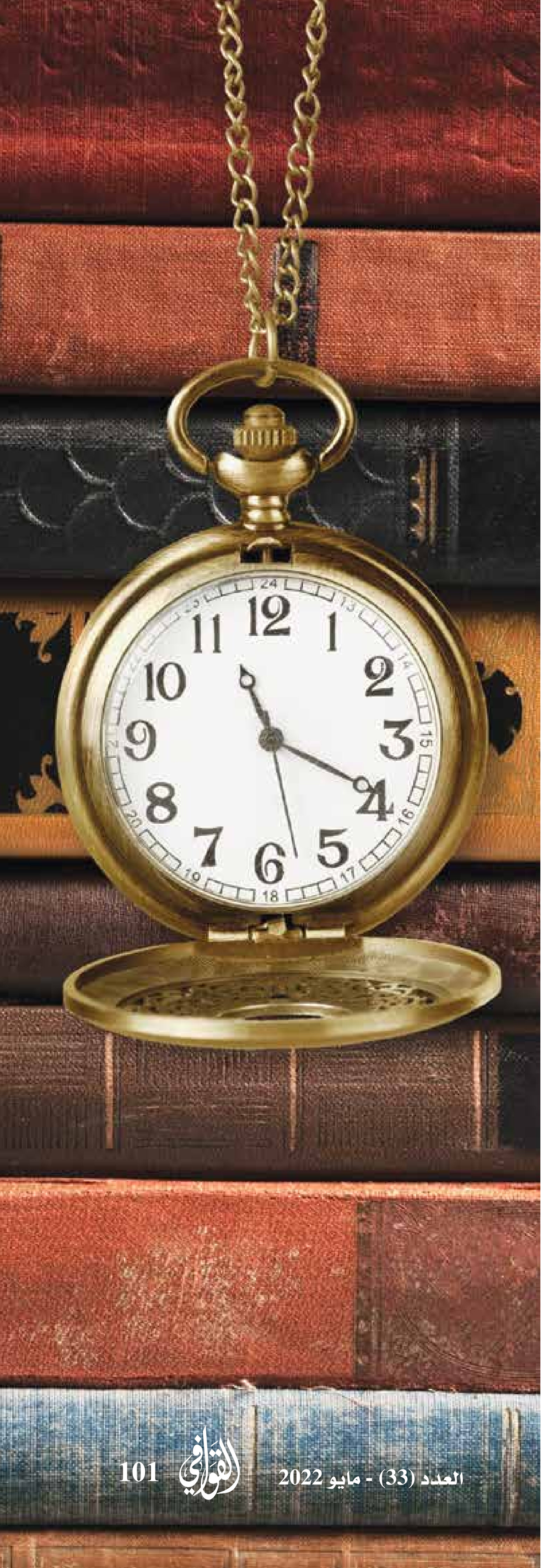
أما في العصر الحالي، حيث نعيش السرعة في كل شيء، حتى في الزمن، نستطيع القول: إن الإنسان عموماً والشاعر خصوصاً، فقد إحساسه بالزّمن حاضره ومستقبله، فقد أصبح مجرد رقم في ساعة أو مجرّد ماضٍ يستحضر للتغنّي بذكرى ما، أو ربّما للتعبير عنه وقتاً، كما في قول الشاعر السوري عبدالله الحريري:

في سَطْرِنا الأخيرِ
يَنْسابُ زَيْتُ الْوَقْتِ فَوْقَ الشِّعْر والشُّعورِ
ونَكْتفي بالنّقْطة الضَّريرة
والْقارئِ الضّريرِ



بهذه الانسيابية ما بعد الحداثية، يأخذنا الحريري إلى سطره الأخير، حيث ينساب زيت الوقت فوق الشعر والشعور، وتنجو النقطة فقط. وقد نلمس التعبير المجازي عن عدم الجدوى، وتسرّب الوقت – الزّمن - من بين أيدينا دون الشعور به. وهذه سمة أخرى من سمات المرحلة. وقد جاء تعبير الشاعرة السورية إباء الخطيب عن الزمن بـــقولها:

يَدي تَحْنو على الْماضي
فأخْشى أنْ يَمَسَّ يَدِي
وجُرْحي طاعِنٌ في التّيهِ
مَمْسوسٌ به كَبِدِي
وذاكِرتي حِبالُ الْبَرْدِ
لَمْ تُمْسِكْ بِمُعْتَقَدِ





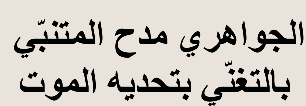


أأشفى؟
- ساءلَ التَّحْنانُ أنْسامي -
فَفَرَّ غَدِي

بتصوير فني عالٍ، تعبر إباء الخطيب إلى ضفاف الماضي – الذكرى - لتمرّ عليها بخوف، وقد عبرت عن هذا الخوف، أو من فكرة الزمن والذكرى التي يتضمنها، في الأبيات الأولى. وفي نهاية المقطع السابق تستعيد الشاعرة فكرة عدم الإحساس بالزّمن الحاضر أو المستقبل بقولها: ففرّ غَدي.

كما نلتمس هذه الفكرة أيضاً لدى الشاعرة التونسية هندة محمد، حين قالت:

عَـــامٌ مَضَـــى والمُتْرَفُـــون نِيـامُ
وتهزُّهُـمْ بَيْــنَ الْـــوَرى الأحْـلامُ
عَامٌ مِــنَ الْعَطَــشِ اللَّذيذِ سَــرى بِنا
نَحْــوَ الـــذُّرى لكأنّنَــا الأوْهــامُ



الجواهري مدح المتنبّي بالتغنّي بتحديه الموت

فنستطيع تأكيد أن لا زمن في شعرية هذا الزّمن أو يكاد يقتصر على الماضي فقط، بوصفه حالة حصلت، وربما فقدان الإحساس بالحاضر أو بالمستقبل مقترن بطبيعة المرحلة وسمة من سماتها الأبرز.

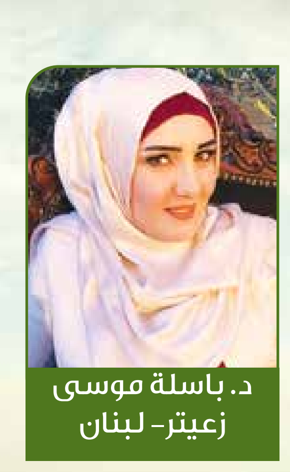
وأخيرًا، نستطيع الحكم على تطور الزّمن التصاعدي الذي ذُكر في المقدمة، أنه تطور تصاعدي عكسي، فمن طغيان الزّمن وتحكّمه وقواه، إلى أبعاده الفلسفية والميتافيزيقية، حتى الوصول إلى فقدانه أو انكفائه خلف ماضٍ يستعاد على مضض. ومع ذلك تضمن النتاج الشعري العربي، عبر العصور، مفاهيم مختلفة واستخدامات للفكرة، عبر أعمال مهمة.

نصّه الشعري يفتح آفاقاً دلالية خلّاقة

حمزة اليوسف

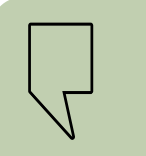
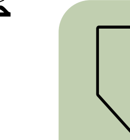
يحلّق «خفيفاً كظلّ الغيم»





د. باسلة موسى
زعيتر- لبنان

يقول ابن سينا «حسبنا ما كُتِب من شروح لمذاهب القدماء، فَقد آنَ لنا أن نضعَ فلسفةً خاصّةً بنا»؛ فالحرّيّة غايتنا الأولى وهدفنا الأسمى، وأجنحتنا الّتي تنقذنا من الهلاكِ في فخّ التّكرار والعادة والتّبعيّة. إنّها خبزُنا اليوميُّ، ومن لمِ يتذوّق طعمَ الوصول إليها لن يتمكّنَ يوماً من تحقيق ذاتِه.

الشاعر في نصّه انطلق إلى عوالم الجمال

هذا ما راودني وأنا أقرأ قصيدةَ «خفيفاً كظلّ الغيم» للشّاعر السّوريّ حمزة اليوسف، الّتي نُشِرَت في العدد الثّاني والثّلاثين من مجلّة القوافي، إذْ طرقَ باباً مختلفاً، وكانت له رؤيته وفلسفته الخاصّتان، وهو يسمُ نصَّه بالعنوان المذكور، ليحوّلَ الحبَّ الحقيقيَّ حرّيّةً مطلقةً؛ فكلّما ازدادَ منسوبُه الدّافعُ إلى الذّوبان في المحبوب، طارَ محلّقاً في عوالمَ من الجمال.

««خفيفاً كظلّ الغيم»، هذا التّشبيه الّذي أدخلنا مباشرةً في المضمون، بدأ بحالٍ «خفيفاً»، ليعبّرَ عن وضعيّة الشّاعر وهو يرسمُ دربَ الوصول إلى النّجاة، متخفّفاً من كلّ أثقال الحياة، محمّلاً بذاته المتعطّشة إلى البوح، خالعاً عن كاهله ثقلَ الصّمت، ساعياً إلى التّحرّر من كلّ القوالب، ليصرخ بأعلى الحبّ والمشاعر، فبدا الصّمتُ زجاجاً يقطع الهواء عن نفَس الحياة، ويمنع شهقة الفرح الّتي يجب أن تتحوّلَ غناءً سعيداً يملأ أركان الرّوح، ويعشبُ في ربى القافية، حتّى يصيرَ القلبُ سهلاً فسيحاً، والعمرُ مواسمَ شعرٍ، والأوراقُ بحراً عميقاً جدّاً لا أفقَ لحدوده، وهل أجمل من الحبّ وهو يسبرُ غورَ الجمال، ثمّ يتفتّق أزهاراً، ويتحوّل حلوى شهيّةً تغلب ملوحة الأيّام؟

حَــرِيٌّ بهــذا الصَّمْــتِ أنْ يَتَكَسّــرا
وأنْ يَقْطُـرَ المَـوّالُ لَـوْزاً وسُـكّرا



حَــرِيٌّ بأوْراقــي إذا عــدْتُ عاكفــاً
على الشِّــعْرِ أنْ تَنْداحَ سَــهْلاً وأبْحُرا

وهل أعظم من يقظةٍ شعوريّةٍ ترتّقُ ثوبَ الفرحِ، وتلبسُ الأجفانَ ألوانَ الضّحك، بعد أن تُخرسَ الوجعَ المتمادي في التّمدّد، وتعيدَ إلى العينين بريقهما؟ فالشّاعرُ يعلنُ عودته إلى الضّوء، متخطّياً آلام الكتمان، متمرّداً على الصّمت، وكأنّه قد استفاقَ أخيراً من نوبة وجعٍ مرٍّ، مستخدماً كلمة «حَرِيٌّ» ثلاث مراتٍ، في بداية أوّل ثلاثة أبياتٍ من قصيدته،، ثمّ يشخّص التّنهيد «مُبْصراً»، ليجعلَ عناصرَ الحزن والقلق كائناتٍ حقيقيَةً تتحرّك، فتبصر أو تعمى، أو ربّما تبسط نفوذها، لكنّ الشّاعر أفلح في السّيطرة عليها:

حَــرِيٌّ بأجْفانــي إذا كُنْــتُ ضاحــكاً
بــأنْ تَكْتُــمَ التَّنْهيــدَ لَــوْ كانَ مُبْصرا

وانتقالاً إلى البيت الرّابع ننتقل إلى قسمٍ جديدٍ في القصيدة، لأن الأبيات السّابقة كانت تعبيراً عن التّحوّل النّفسيّ، في حين يبدأ الشّاعر هنا بطرح تساؤلٍ قلِقٍ عن مصير قلبه وروحه، فجاءَ وكأنّه سببٌ لكل ما سبقه؛ إنّه الخوف من الخسارة والوحدة العاطفيّتين، والحاجة إلى ملجأ يأوي إليه في لحظات الضّعف والهزيمة والانكسار:

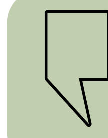
فَمَــنْ مُــدْرِكٌ قَلْبيْ على سَــيْلِ أحْرُفي
ومَــنْ حاضِــنٌ رُوحــي إذا لاحَ أو قَرا


من أمسية في بيت الشعر في الشارقة 2021



ثمّ يدخل في التّفصيل وذكر الأسباب في البيتين التّاليين:

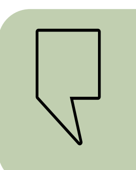
تَجَــرَّدْتُ مِنّي الآنَ أمْشــي على دَمي
خَفيفــاً كَظِلِّ الْغَيْمِ يَسْــبَحُ فــي الثَّرى
مَعــي نَكْهــةُ التّأويــلِ ما ضَــلّ ظامِئٌ
سُــلافَتَها – إنْ ذاقَ – عَقْــلاً ومَحْجرا



عنوان القصيدة يرسمُ درب الوصول إلى النّجاة

فأن يتجرّدَ من نفسه، فهذا يشير إلى أنّه موغلٌ في الحقيقة، فهو بهذا الفعل يعود إلى جذوره الأولى، قبل أن ترسم الأيّام والأحوال على صفحته البيضاء خطوطاً سوداء أو ملوّنة؛ إنّها الفطرة الطبيعيّة الصّافية، وما هذا الشّعور إلّا تحليقٌ في فضاءٍ لا متناهٍ، وتحرّرٌ مطلقٌ من القيود كاملةً، وهنا تكمن الحرّيّة الخلّاقة. ويجمع الشّاعرُ بين صورتينِ متناقضتينِ، إذْ يسبح في الثرى كظلّ الغيم، والغيم كما هو معلوم ومنطقيّ يكون في الأعلى وليس في الأسفل، لكنّه يدعم فكرته بنكهة التّأويل الّتي تفتح المجال على دلالاتٍ مختلفةٍ تقتل الجمودَ وتتجاوزه، وتتخطّى المنطق المتعارف عليه، لتخلقَ فكراً جديداً يقوده الحبّ الشّديد.

فَيَــا مُمْسِــكاً بَوْحي علــى ذَرْفِها ضياً
سَــأَلْتُكَ بالإيمــانِ أنْ مُــرَّ أخْضَــرا
تَرَفَّــقْ إذا مــا لَاحَ فــي البالِ شــاعِرٌ
وحَــاولَ أنْ يُمْســيْ بِعَيْنَيْــكَ مُقْمِــرا

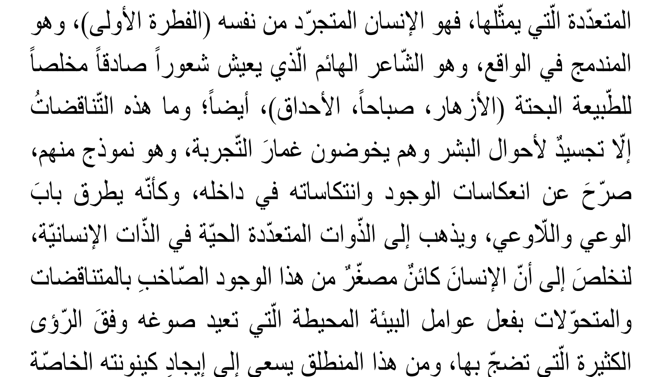


أحال الشاعر عناصر الحزن كائنات حقيقية

وبعد أنْ يشرحَ حالَه يبدأ بصيغة الخطاب المباشر مستهلّاً بالنّداء، يستحلفُ الحبيبَ بالمرور والحضور أخضرَ، ليمحو من داخله اليباسَ والقحطَ، فقد حاولَ طويلاً أن يصنع النّورَ في عينيه، ولا سيّما أنّه استخدم في الطّلب الفعل «ترفّقْ» الّذي يوحي باللّينِ والرّجاء، لا الأمرِ الجازمِ القاطعِ المتسلّطِ، ويستتبع في الأبياتِ التّاليةِ توصيفَ ما قامَ به بصبغةٍ رومنسيّةٍ، مستعيناً بـ «كم» الخبريّة، ليحكي عن الأفعال المتكرّرة الّتي قام بها:

فَكَــمْ قطّــفَ الأزْهــارَ مِنْ عِــزّ نَوْمِها
وأهْــداكَ إيّاهــا صَباحــاً مُبكّــراً
وكَــمْ لَمْلَــمَ الأحْــداقَ مِــنْ كُلِّ صُورةٍ
وأقْــراكَ مــا فيهــا كِتابــاً مُصَــوّرا

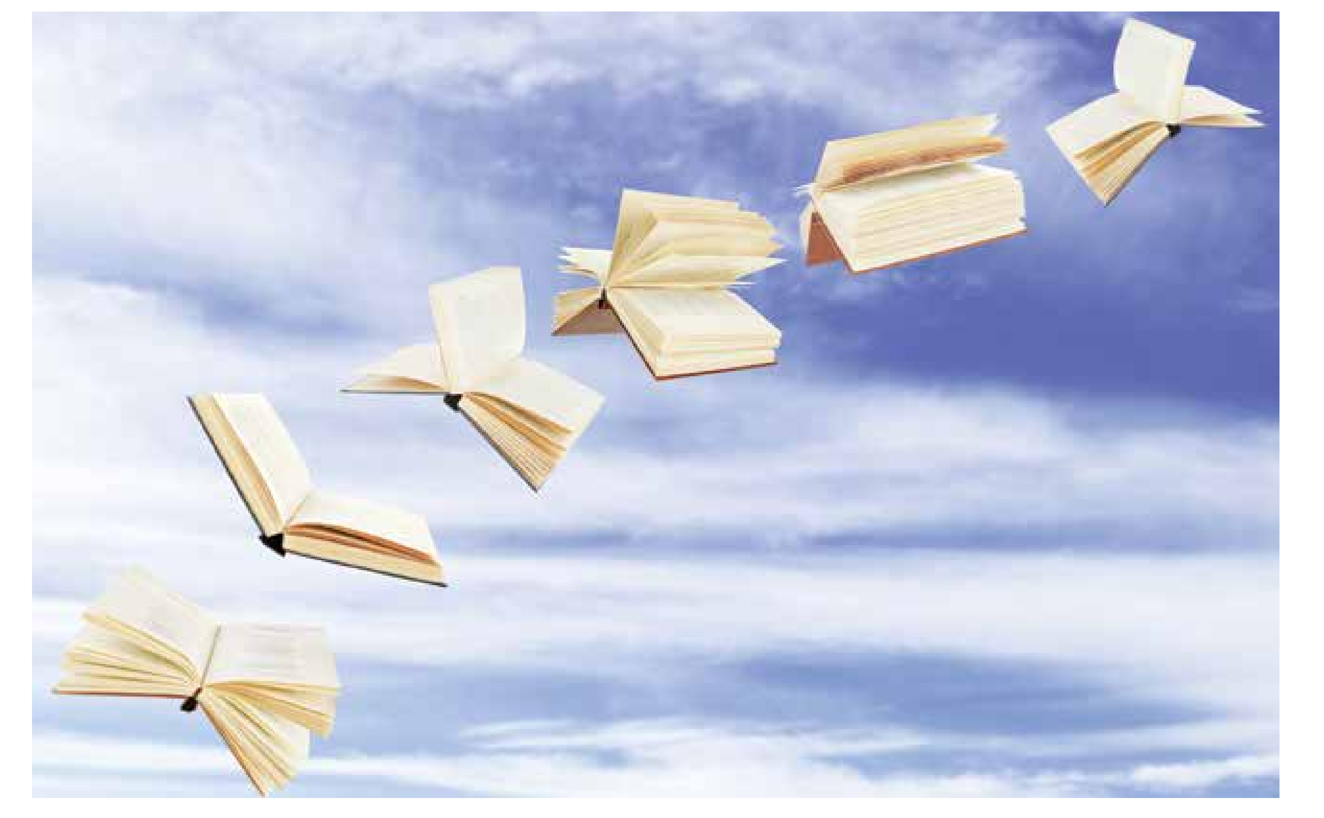
اللّافت هنا أنّ الشّاعر تنقّل بين الضّمائر المختلفة، فمن صيغة المخاطب واستخدام الضّمير «أنتَ»، ذهبَ إلى المتكلّم «أنا»، وبعدها إلى الغائب «هو»، وهذا يمنح النّصّ حركةً من جهةٍ، ويشير إلى الشّخصيّات المتعدّدة الّتي يمثّلها، فهو الإنسان المتجرّد من نفسه (الفطرة الأولى)، وهو المندمج في الواقع، وهو الشّاعر الهائم الّذي يعيش شعوراً صادقاً مخلصاً للطّبيعة البحتة (الأزهار، صباحاً، الأحداق)، أيضاً؛ وما هذه التّناقضاتُ إلّا تجسيدٌ لأحوال البشر وهم يخوضون غمارَ التّجربة، وهو نموذج منهم، صرّحَ عن انعكاسات الوجود وانتكاساته في داخله، وكأنّه يطرق بابَ الوعي واللّاوعي، ويذهب إلى الذّوات المتعدّدة الحيّة في الذّات الإنسانيّة، لنخلصَ إلى أنّ الإنسانَ كائنٌ مصغّرٌ من هذا الوجود الصّاخبِ بالمتناقضات والمتحوّلات بفعل عوامل البيئة المحيطة الّتي تعيد صوغه وفقَ الرّؤى الكثيرة الّتي تضجّ بها، ومن هذا المنطلق يسعى إلى إيجادِ كينونته الخاصّة به وحدَه، كما لاحظنا عند حمزة اليوسف، كيْ لا يضيعَ في فوضى الآخرين.



ويعودُ إلى الأمرِ المحبَّب مصحوباً برقّةٍ عذبةٍ جدّاً:

فَغَطّيــه بالأنْفــاس، كَــمْ طُفْتُمــا معاً
وكَمْ صَادفَ الإحْســاسُ ما فِيكُما سرى

حيثُ الإحساسُ المرهفُ سيّدُ الموقف، ليلجأ إلى الهامش المفقود الّذي ربّما عثرَ عليه أخيراً وهو يقرأُ نفسَه، محافظاً على دائرةِ الاحتمال الّتي بقيَ يدورُ فيها كي لا يخرجَ إلى الحقيقةِ الصّادمةِ، آملاً بغدٍ أفضلَ، لأنَّ الفرصَ الجميلةَ دائماً تأتي متأخّرةً، بعد أن تعتّقَها التّجربة، وتخرجَ منتصرةً من هزائمَ كثيرةٍ، حينَها فقط يشعرُ باللّذةِ المطلقة الحرّةِ، إذْ يُفاجَأ بالمطر الغزير بعد شحٍّ طويلٍ، يملأُ أيّامَه ويحوّلُها واحاتٍ خُضراً شاسعةً لا تعرفُ اليباسَ والجفافَ، لأنّه سيدركُ قيمةَ ما لديه، وسيعرفُ جيّداً كيفَ يحافظُ عليه،



فتأخذُه النّشوةُ بما أنجزَ بعد انتظارٍ وأرقٍ مؤلمين:

ورُبَّ عَناقيــدٍ تأنّــى نَبيذُهــا
غَــداةَ عُــروقُ الْكَرْمِ تُنْشــيهِ سُــكّرا
علــى هامِــشٍ يَفْتَــرُّ ثَغْــرٌ ومَوْعِــدٌ
ويَنْســابُ وَحْــيٌ مــا وتَحْسَــبُه كَرى



حمزة اليوسف

أبياته الشعرية تنتصر للحياة وللإنسانية

وتجدرُ الإشارةُ إلى الرّويّ المفتوحِ الّذي حرّره الشّاعرُ من الكسر والضّمّ، وأطلقَه ليتمكّنَ عبرَه من التّعويضِ عن انكساراتِه، ويصرخَ بملء الشّعر، وما يحمّلُهُ من رؤى ودلالاتٍ، فاختصرَ معاناةَ كلّ من أرهقته التّساؤلاتُ، وينتصرُ للحياةِ ولو بهامشٍ صغيرٍ يفرُّ به وإليه؛ فما أحوجَنا إلى الحديث مع نفوسنا المهملة القابعة في زوايا غير مرئيّة في زحمةِ الدّنيا!



ماذا تقول القصيدة؟



حمد العسعوس
الخالدي - السعودية

مللتُ ملامحَ وجهي القديمِ،
مللتُ الغناءَ على وترٍ مُقفلٍ،
وعلى نغمةٍ مقفلةْ
سأفتحُ كُلّ
النوافذِ للشمسِ، للريحِ،
للسُّحُبِ المقبلةْ
- كنتُ أكتبُ للناس ما يشتهونْ
والآن عدتُ لأكتُبَ ما تشتهي
الروحُ
للريح، للبيدِ
للصادحاتِ من الطيرِ
حين أفقتُ على نجمةِ الصبحِ،
وهي تزفُّ - لنا - شاعرَ
المرحلةْ
- كنتُ خلفَ حدودِ القصيدة،
أحدو القلاصَ النُّواجِيْ،
أردد ألحانَ من سلفوا،
وأرسفُ في حلقاتِ القيودِ
- سأقتحمُ الآن أسوارَها،
سأدخلُ عالمَها المخملي..؛
لأمارسَ فيهِ طقوسَ الكتابة
بين يديها،
وأجعلَها كالولودِ .. الودودْ
- إنني أرتدي الآن بُردَتَها؛
لأُشعلَ أحلى قناديلَها في الوجود.
- لستُ أدري متى تطرقُ الباب ..
حتى أُهيّئَ مجلسَها،
وأفتحَ بابَ الحوارِ المباحْ؟
- هي دوماً
تحبُّ اجتياحي،
وأيُّ اجتياحْ؟
- إذا داهمتْني خضعتُ لرغبتها



الجامحةْ،
وسلّمتُ نفسي ، ووقتي لها
إنني أفقدُ الوعيَ حتى
تصيحَ القصيدةُ بينَ يديَّ،
فأنهضُ - كالفارسِ المستباحْ
- القصيدةُ
لا يعرف الناسُ أين مقرُّ إقامتِها
فحيناً تُرى
تتجوّلُ بين الأزقّةِ
حافية
وحيناً تُرى
وهي تقفزُ فوقَ رؤوسِ الجبالِ
وحيناً تعومُ،
وحيناً تطيرُ
- وفي بعضِ حالاتِها..،
تستجيبُ لرغبةِ خاطبِها،
فتخنسُ بينَ ذراعيهِ،
كالخائفِ .. المستجيرْ
- أيها الشعراءُ الكرامُ
القصيدة تُلقي عليكم
كثيرَ السلام،
القصيدةُ تصرخ فيكم،
تناشدكُم أن تعيدوا
إليها وسامتَها
وسْط هذا الحُطامْ
- قصيدتُكم ماتَ أمهرُ
فرسانِهَا،
واستبدَّتْ بها نارُ أحزانِهَا،
وضاقتْ بها أرضُكمْ
أرضُكم.. أرضُ حربٍ،
وخيلُ القصائدِ متعبةٌ
وتريدُ السلامْ



مكابرة

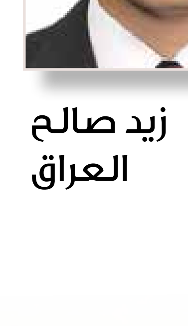


ناهدة شبيب
سوريا

أُكابرُ في هواكَ ولستُ أهوى
وقلبي يصطفيكَ وفيكَ يُكوى
ببابكَ أزرعُ الأقمارَ ليلاً
وأستاقُ النجومَ إليكَ صَفْوا
يُعاتبُني يمامُ الشوقِ فجراً
فهل عن شوقِنا المخبوءِ سلوى
أُناغي ما استطعتُ شفيفَ بَوْحي
فيحرقني بجمرِ الشوقِ سَهْواْ
وبي كُسِرَ الجناحُ فكيف أهفو؟
أطيرُ إليكَ كيف؟ ولستُ أقوى
إذا جُنَّ الحنينُ سكبتُ دمعاً
وأسرجْتُ الحروفَ بغيرِ جدوى
على قيدِ الشجونِ رتَقْتُ جُرْحاً
ظميئاً من ضفافِ الصبرِ يُروى

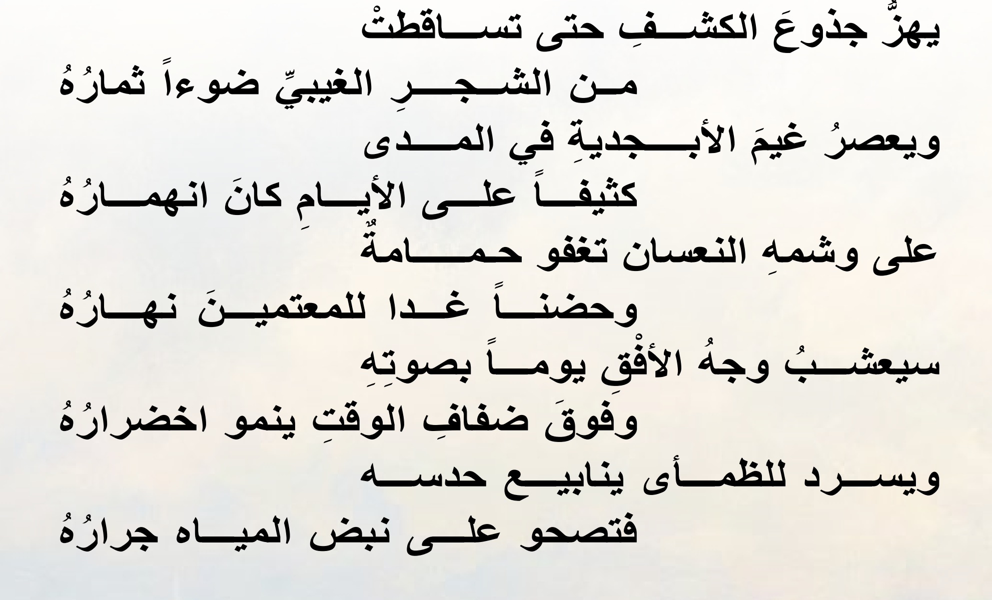
أُنادي: زِدْ وقد أسرفْتَ ظلماً
غريقُ الروحِ لا تعنيهِ بلوى
فكيفَ تَساقطَ العشاقُ خُرْساً
كشلالِ الظلامِ بغيرِ شكوى
ونحنُ كما القصائدُ سامقاتٌ
على سررِ البحورِ بغيرِ فحوى
نُراقُ على الموائدِ دونَ زادٍ
سوانا قصةٌ في البدءِ تُروى
أَضعْتُ ربابتي، سأصوغُ ثغراً
ستغريهِ الشفاهُ وليسَ يُغوى
فخذني في رياضكَ بِتُّ ظلاً
بأرصفةِ الغرامِ بغيرِ مأوى
أموتُ براحتيكَ فلا تذرني
على جمرِ اشتعالِ الشوقِ أُطوى

غجريٌ يتهجّى النبعَ



زيد صالح
العراق

على سـكـكِ الذكـرى ينـوحُ قطارُهُ
فـكلُّ محطـاتِ الحنيـنِ مسـارُهُ
تَلَبَّسَـهُ الشـكُّ القديـمُ قصيـدةً
وفي غربـةِ المعنى تجلَّى انكسـارُهُ
هنـاكَ على طـورِ الكنايـاتِ واقفٌ
تضـجُّ بأسـرارِ النبـوءةِ نـارُهُ
فقبلَ احتشـادِ الريحِ في أضلعِ المدى
وقبـلَ انفراطِ المـاءِ كانت بحارُهُ
ومن مـدنٍ أقصى الحكايـاتِ قد أتى
رسـولاً إلينـا والمجازاتُ غارُهُ
تزمّلـهُ بالعطـرِ عشـرونَ وردةً
وفـوقَ النـدى صلّى وذاكَ مـزارُهُ
يهزُّ جذوعَ الكشـفِ حتى تسـاقطتْ
مـن الشـجـرِ الغيبيِّ ضوءاً ثمارُهُ
ويعصرُ غيمَ الأبـجديةِ في المـدى
كثيفـاً علـى الأيـامِ كانَ انهمـارُهُ
على وشمِهِ النعسان تغفو حمـامةٌ
وحضنـاً غـدا للمعتميـنَ نهـارُهُ
سيعشـبُ وجهُ الأفْقِ يومـاً بصوتِهِ
وفوقَ ضفافِ الوقتِ ينمو اخضرارُهُ
ويسـرد للظمـأى ينابيـع حدسـه
فتصحو علـى نبض الميـاه جرارُهُ



كفٌّ على الماء

علي المنكوتة
الزهراني - السعودية

كَفٌّ على الْماءِ والأُخْرى بِها تَعبِي
ومِرْفَقِي باتَ مَصْلوباً بِلا سَبَبِ
أَدْنُو ولكِنَّ ظَهْرَ اليَأْسِ مُنْتَصِبٌ
نَحْوَ السَّماءِ وظِلِّي كادَ يَنْطِقُ بِي
يا أَوَّلَ الرِّحْلَةِ العَمْياءِ أَينَ أنا
كأَنَّنِي مَوْطِنٌ يَحْيا بدونِ نَبِي
رَكِبْتُ راحِلَةَ النِّسيانِ مِنْ وَجَعٍ
حتى دنا حادِيَ التَّرحال لِلْجُدُبِ
لِلْوَقْتِ وَجْهُ يقينٍ مَنْ سَيَعْذِلُهُ
ثَغْرُ الصَّباحاتِ أمْ تَغْرِيبةُ الشُّهُبِ
جَمَعْتُ بَعضَ بَقَايَايَ التي هَرِمَتْ
في مُقلَتِيَّ وكَمْ ضاقت بها هُدُبِي
يَهُزُّنِي وجَعٌ حتّى غدا وَطَناً
في داخلي مِثْلَ صَوْتِ النَّايِ في القَصَبِ
تمائِمِي لَسْتُ أدري كَيْفَ أَكْتُبُها
بِلا مِدادٍ يُعِيدُ الرُّوحَ في كُتُبِي
تَبَعْثَرَتْ فوقَ وَجْهِ الماءِ أسْئِلَتِي
كَما تَبَعْثَرَ حَظِّي حينَ ماتَ أَبِي



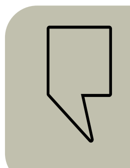
يعزز في قصائده مشاعر الاغتراب والفقد والحنين

أحمد شكري

ينشد «كمآذنٍ ألَفتْ مَراثي الرّيح»

د. أديب حسن
سوريا

دأبت «جائزة الشارقة للإبداع» منذ انطلاقتها، على تقديم الكثير من الأصوات الشعرية الجديدة التي لم تكن تجد فرصة للظهور في المشهد الشعري لأسباب عدّة، وقد استقطبت هذه الجائزة خلال مدة قصيرة، اهتمام الأصوات الشعرية الجديدة، واستطاعت بناء تقاليد خاصة بها، عبر الدّعم المستمر للمواهب، حتى بعد نيل الجائزة، بطباعة الدواوين، وتوزيعها، والعناية بأدقّ تفاصيل العمل الفائز.

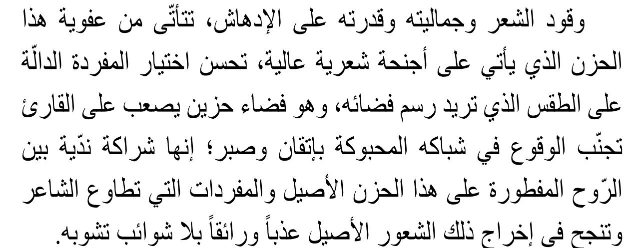


الشاعر يمتلك الخيال الخصب وأدوات الإبداع

في هذا السياق تقدم لنا الجائزة هدية جديدة، هي ديوان يُعدّ الأول للشاعر السوري أحمد شكري عثمان، المعنون «كَمآذنٍ أَلِفَتْ مَراثي الريح» الفائز الأول في الدورة العشرين في الشعر.

نحن أمام شاعر يمتلك الخيال الخلّاق والأدوات المناسبة التي تمكّنه من قيادة نصوصه بكل مهارة وسلاسة، فتأخذنا القصائد إلى دهشة عارمة في الكثير من المواضع، وهي دهشة مصحوبة بحزن عميق وأصيل، حزن صافٍ رقراق غير مصطنع، حزن يقرّبك إلى حقيقتك العميقة، وإلى الجوهري الساكن فيك، الذي يلتمع بين وقتٍ وآخر، ليذكّرك بمآلك المجهول:

مِـنْ بُحّــة النّايــاتِ جَاؤوا..وارْتَقــوا
وأنـــا علـــى نَغَـــماتِهم..أتَمَـــزّقُ
ضَاعـــوا بأنْفـــاس الرّيـــاحِ كأنّما
ريـحٌ تَــوْءمٌ ثُقوبَهَــمْ كَــيْ يَشْــهقوا
مِــنْ غَصَّتــي الأولــى أُدَنْــدِنُ مِثْــ
ــلَ نــايٍ أرْملٍ..والذّكريــاتُ تُزَقْزقُ



وقود الشعر وجماليته وقدرته على الإدهاش، تتأتّى من عفوية هذا الحزن الذي يأتي على أجنحة شعرية عالية، تحسن اختيار المفردة الدالّة على الطقس الذي تريد رسم فضائه، وهو فضاء حزين يصعب على القارئ تجنّب الوقوع في شباكه المحبوكة بإتقان وصبر؛ إنها شراكة ندّية بين الرّوح المفطورة على هذا الحزن الأصيل والمفردات التي تطاوع الشاعر وتنجح في إخراج ذلك الشعور الأصيل عذباً ورائقاً بلا شوائب تشوبه.

ثمة حنين موارب ينخر جدران القلب، هذا الحنين هو مادة الشعر الخالدة، وكما يقول جبران: الحنين هو عندما لا يستطيع جسدك الذهاب إلى حيث تريد روحك، تبقى لوحة الروح المنشودة بعيدة تتراءى خلف كثبان عظيمة لا يستطيع معها الشاعر سوى عزف تلك الألحان الشجية التي لا تقرّب المفقود لكنها تبقيه حيّاً وقابلاً للحلم والتشهّي، وهذا الحنين هو ما يبقي تلك المسافة ذات معنى:

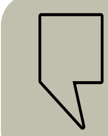
كأنّي أعودُ إلَيْها غَريباً
وأرْجو شَبابيكها الرّاهباتِ لِتَصْفحَ عنّي
فَهلّا تجاوبُ
كأنّي أربّتُ فَوْق الْحجارة
أبْكي انْحناءَ ظُهورِ قَناطرِها الْمُتْعَبات
وأمْسحُ عَنْها
خُيوط الْعناكبْ





نهر عفرين





في التّراث وجد ما يُشبع نهم روحه الحزينة

ولعلّ هذا الاغتراب هو ما ينفخ الرّوح في إشراق القصائد وبقاء سحرها نضراً على مرّ العصور، ذلك أن الاغتراب كان مرافقاً للإنسان خلال رحلة الوجود البشري، منذ فجر الخليقة، تلك الحَيَوات القصيرة الآيلة للزوال، وتقلّبات الأمكنة والأزمنة وما تحدثه في الروح من آثار وما تثيره من زوابع تجرف الإنسان ومشاعره مع هبوبها العاتي. الشعر هنا شاهد، وناقل أمين لتلك المشاعر غير المفسّرة التي تتلاطم عميقاً داخل النفس البشرية:

كأنّـــي إلـــى ضِفّــةِ الحُلْــم أسْــري
كَظَبْــيٍ إلــى حَسْــرة الْمــاءِ يَرْنــو
أحـــاولُ كَتْـــمَ الفَراديـــسِ فــيَّ
وألْجُــمَ رُوحــي ولِلــرّوحِ شَــأنُ
كأنّـــي أبَعْثِـــرُ حُلْمـــي بِبُــطءٍ
وحيـــنَ أراهُ وَحيـــداً...أُجَـــنُّ

وهكذا فإنه ليس من الغريب أن يجتمع الحزانى وأن تتقاطع الأحزان، وأن يستلهم حزنٌ حزناً، أو غربةٌ غربةً، ففي التراث ما يشبع نهم الروح


عفرين

الغريبة الحزينة التي تتطلع إلى نماذج تشبهها حتى تتواقع تلك السوانح الروحية المتألّقة، وتجتمع في طقس واحد لا فرق بين غريب وغريب:

وقَضَــى قَميصُكَ..مَنْ سِــواهُ ســيُنْبِئُ
للرّيــحِ عِطْــركَ أو يُشــيرُ ويُومِــئُ
يــا صاحبــيّ السّــجنُ كانــوا إخْــوةً
كالْعِقْــدِ هُــمْ خَــرَزٌ ودَمْعــي اللُّؤْلُــؤُ
الآنَ وَحْــدي لا أنيــسَ بِصُحْبَتــي
كالشَّــمْع أخْبــو فــي الرّيــاحِ وأُطفأُ

ولعلّ سؤالاً يلحّ على الخاطر هنا: لِمَ ترانا نتفاعل وننحاز بأرواحنا إلى هذا النمط المتغرب الحزين، أكثر من سواه من أغراض الشعر؟

ربما لا نجد إجابة حاسمة هنا، لكنّ تفاعلنا وتناغمنا واندهاشنا بما نقرأ، يلغي إلحاح البحث عن جواب. إننا مثل المستمع إلى قطعة موسيقية شجية أخّاذة لا يتركنا جمال اللّحن ننفلت من إهابه للتفكير في ماهية النوتات أو الآلات التي تعزفه.

وهذا سرّ جمالية الشعر الطللي ودوام بقائه من عصر ما قبل الإسلام؛ إنه يدغدغ ذلك القلق الكامن في دواخلنا، يحرّك تلك الأسئلة الممضّة الفاتكة التي تنهش الفكر البشري، ويعيد طرح مسألة الفقد والتحسّر في المرحلة التي تعقب الخسارات الكبيرة:

قُرى تَتَوارى على ضَوْءِ حَافِلَةٍ في الْمَساء
ورِيحٌ تَئِنُّ
والذي تَراءى دُروبٌ تَربّتْ فَوْق الْحِجارة
كَيْ تَتَناسى ..فَلا تَطْمَئنُّ
وأسْألُ ذاكَ الّذي ضاعَ مِنْ عُمْرهِ أوْجهٌ مِنْ ضَبابٍ
لِماذا يَحِنُّ؟

هذا الديوان قطعة موسيقية شجية تعزفها روح هذا الشاعر المتشبع بطلع زهور جبال عفرين، بموسيقى النايات التي تنبعث في المنحدرات المكلومة أبداً بتلك المواويل الشجية.

في الديوان التقاطات من طفولة غابرة تعزز مشاعر الاغتراب والفقد والحنين، تلك الطفولة المعلّقة كتميمة تحرس منامات الشاعر، أو كصور تعيش في مكان أثير من روحه، يحب استعادتها كلما دَهمه وجع الحاضر وثقل مآلاته.

الدّيوان قطعة شجية عزفها وجدان الشاعر




شجر الزيتون

صورة الأم وهي ترفو بخيط البصيرة شقوق بنطاله، صورة الدرج والجدران التي تشيخ، وأحجار الطرقات التي سلكها في طفولة غابرة، تلك القناطر التي هدّها الفقدان والقباب الهائمات مع السماء.

وهكذا تبلغ القصائد ذروة المسعى واكتمال التعبير عندما تحلّق في مدارات التأمّل، رامية في عروجها التخلّص من كلّ ما يثقل تلك الرحلة النورانية المشوّقة:

رُحْــتُ كالمَوْلَــويّ أعْــدو إلــى الله
وأخْفــي عَــنْ أعْيُــنِ النّاسِ طَقْســي
فــي الطَّــوافِ اخْتَبَــرْتُ حُلْمــي
كأنّــي أتَجَلّى في مَسْــلكٍ حَوْلَ نَفْســي

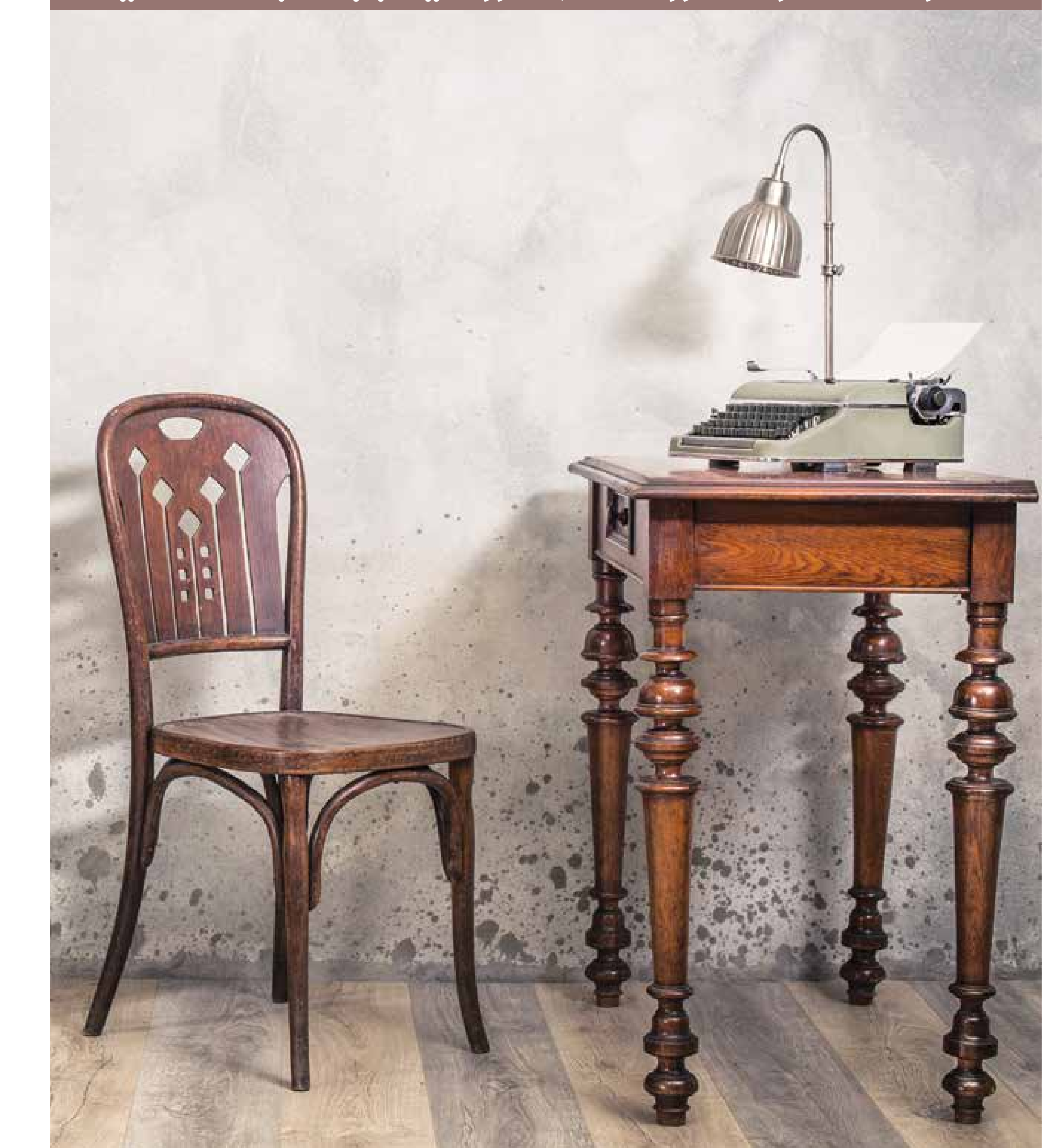
فالشاعر يقدّم بجمالية عالية وسلاسة وعذوبة، ما ترومه الرّوح من أسفار تأخذها بعيداً عن رتابة الحياة المَعيشة، إلى عوالم ساحرة قابلة للاستعادة والتمثل، عند كل من يقرأ نصوص الديوان.



زيت الزيتون

اقتحموا عالم السّرد بأساليب تفوق الخيال

شعراء أقاموا صُروحهم الرّوائية بجانب القصيدة





د. أحمد علي شحوري
لبنان

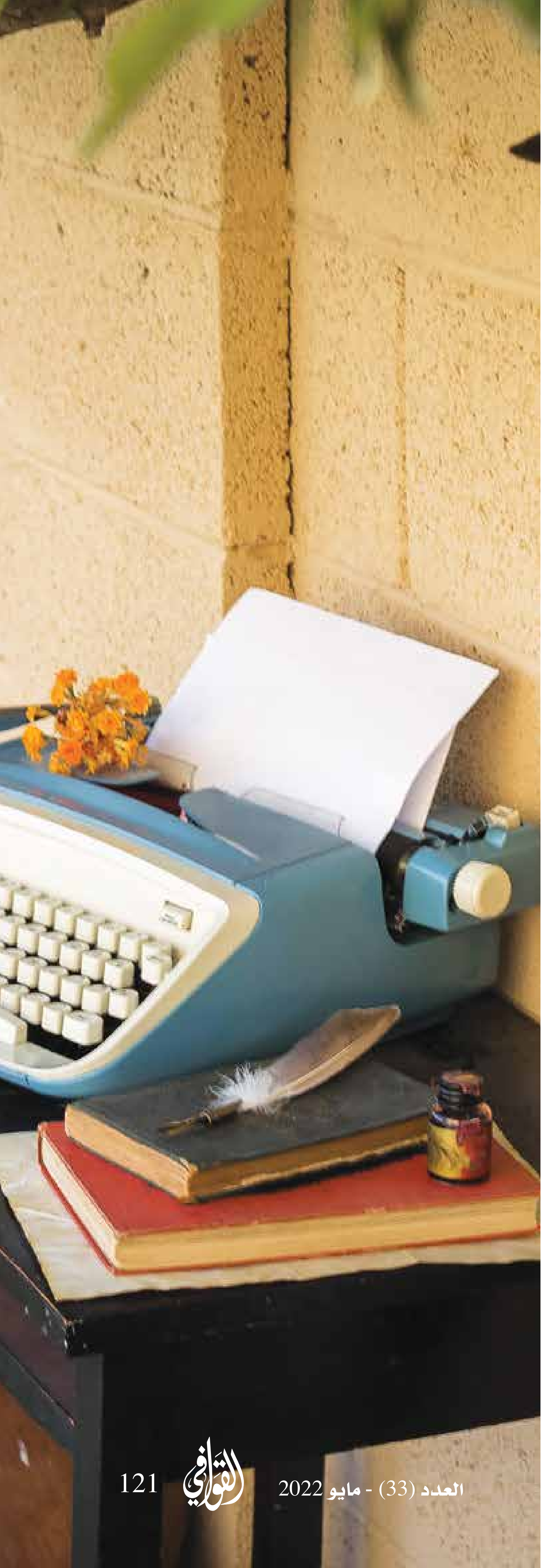
لطالما كان للشّعر، لدى العرب، إمارته الَّتي لا يُنازعها تاجَ السّموّ والرفعة أيُّ جنسٍ أدبيّ سواه، ولطالما نُصِّبَ على عرشه، من كبار الشّعراء، أمراء للقوافي والبيان. ولكن، منذ انبلاج فجر الرّواية العربيَّة في مطلع القرن المنصرم، أخذ وهجُ النَّثر يسطع ويُزاحم الشّعرَ في عقر داره خاطفاً كرسيَّ الرّيادة لدى المتلقّين العرب، حتّى رأى النّاقد المصريّ جابر عصفور، أنَّ الرّواية العربيَّة الحديثة هي «ديوان العرب المحدثين».

بعض الشعراء تزاحموا على نوافذ السّرد القَصصي

وعليه، لم يكن مستغرباً أن برزت ظاهرة ميل بعض الشّعراء إلى اختبار تجربة كتابة الرّواية، فكتبها بعضُهُمْ على سبيل التَّجريب، فدخل إلى فضائها برهافة الشّاعر وحساسيّته ولغته المجازيَّة المجنّحة منقاداً للصَّوت الغنائيّ الواحد؛ ولكنَّ بعضهم الآخر أتقن لعبة كتابتها باقتدارٍ، فنجح في ابتكار إقامةٍ ثانيةٍ خارج تخوم إمارة إبداعه الأولى، وتمكَّن من الإمساك بمفاتيح الإبداع المزدوج في الشّعر والرّواية معاً، من غير أن يهدم الحدود بينهما، أو يُهشّم منطلقات كلٍّ منهما.

إذ إنَّ الشّعر يجيء من هناك، من منطقةٍ ممسوسةٍ بالغيب ينفتح عليها الشّاعر بالحدس والحلم والتَّخييل، أمّا الرّواية فتُولد هنا، في فضاء المجتمع، حيث الواقع بكلّ تحوّلاته وصراعاته المادّيّة والاجتماعيَّة المرئيَّة؛ فكأنَّ الشّعر سماويّ يهبط من فوق، من عوالم حدسيّة غير مرئيَّة، في مقابل الرّواية بنت الأرض تصعد من تحت من أعماق التَّجارب الاجتماعيَّة. وعليه، نتوقَّف، في هذا المقال، عند شعر بعض الشّعراء ممّن كتبوا الرّواية، فمنهم:

- **حليم دَمّوس (1888 - 1957):** شاعر وروائيّ وكاتب ومترجم لبنانيّ، هاجر إلى البرازيل (1905) ثلاثَ سنوات، ليعود بعدها إلى بيروت زمناً، ومنها إلى دمشق حتّى سنة 1932، ثمّ ليعود إلى لبنان مجدّداً. اشتغل في التَّأليف الأدبيّ والشّعريّ، وترجم قصائد عدّة عن البرتغاليَّة والإسبانيَّة والفرنسيَّة. وله دراسات ومقالات متنوّعة. من دواوينه: «ديوان حليم»،



و«المَثاني والمَثالث». أمّا في الرّواية فله «الرّوايات العشر»، و«فاجعة بيروت». نقرأ له، في قصيدة «المهاجر»، شعراً وجدانيّاً رقيقاً يُعبّر فيه عن حنينه وشوقه إلى الرّبوع النّضرة بلده لبنان، وقد أمسى غريباً في بلاد الغربة حتّى كأنَّه نكرة، يخاف أن يقتله الشّوق، فيقول:

هَجَـرَ الــرَّوْضَ وَعــافَ الثَّمَــرَهْ
وَلَيالــي أُنْسِــــهِ المُزْدَهِـــرَهْ
وَمَضـــى يَضْـرِبُ فـــي آفاقِهـا
وَلِســـانُ الدَّهْـــرِ يَـرْوي خَبَرَهْ
رَكِـبَ الأَهْـــوالَ سَـيْراً وَسَـــرى
نـــادِباً تِلْكَ الرُّبـــــوعَ النَّضِـرَهْ
وَهْـــوَ لا يَـدْري أَيَقْضـــي لهفـاً
أَمْ مِـنَ الدَّهْـرِ سَيَقْضـــي وَطَـرَهْ؟
يَلْتَقـــيهِ بَيْـــنَ أَشْــواقِ الــرَّدى
وَالرَّدى يُنْشِـــبُ فيـــهِ ظُـــفُرَهْ
كـــانَ فـــي مَوْطِنِـــهِ مَعْرِفَـــةً
وَهْـوَ فــي المِهْجَـرِ أَمْســـى نَكِـرَهْ
يَحْطِـمُ اليَـأْسُ جَنــاحَيْهِ كمــا
تَحْطِـــمُ الرّيـــحُ أُصـــولاً نَخِرَهْ

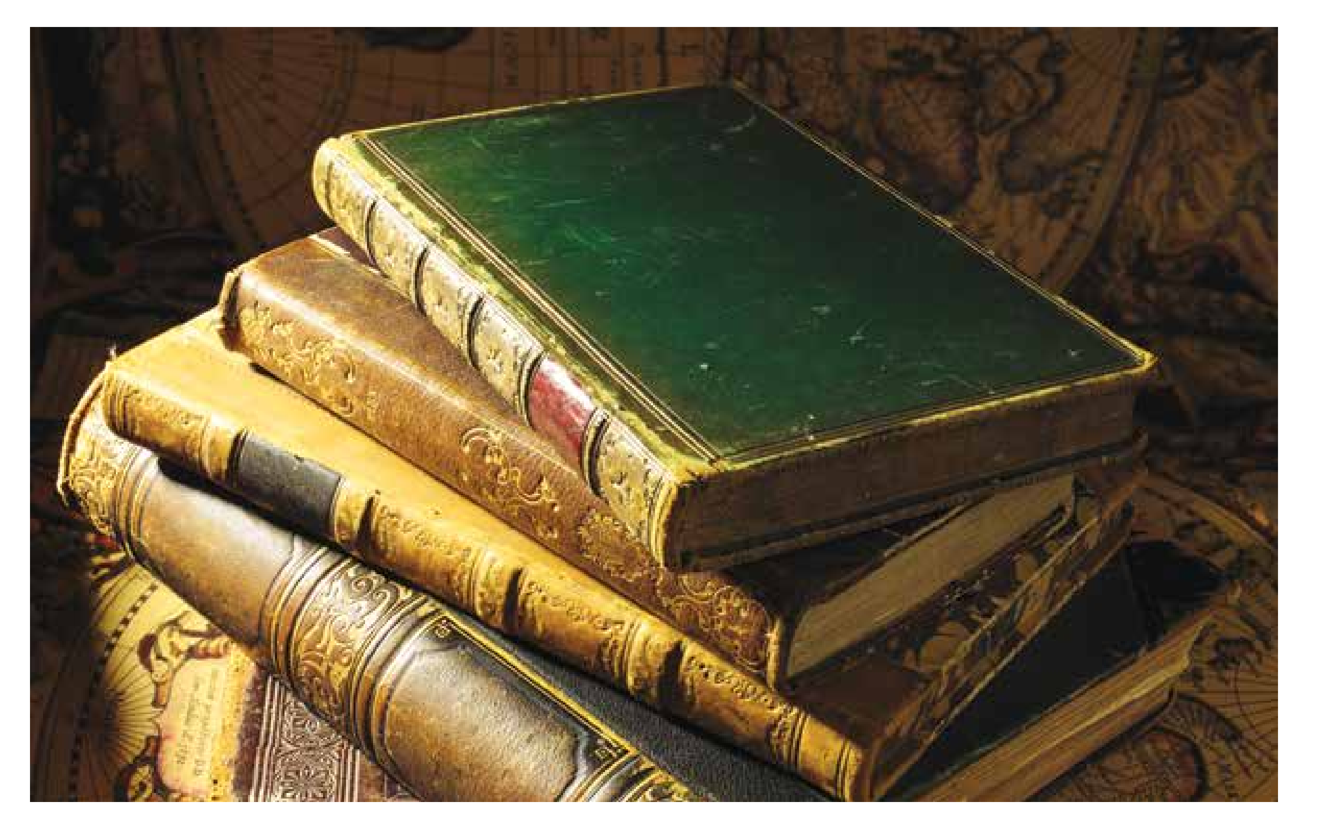
- **إبراهيم عبد القادر المازنيّ (1889 - 1949):** شاعر وناقد وكاتب مصريّ، ولكنَّه أبى إلّا أن يُجرّب مخاض الكتابة الرّوائيَّة، فأصدر عدَّة

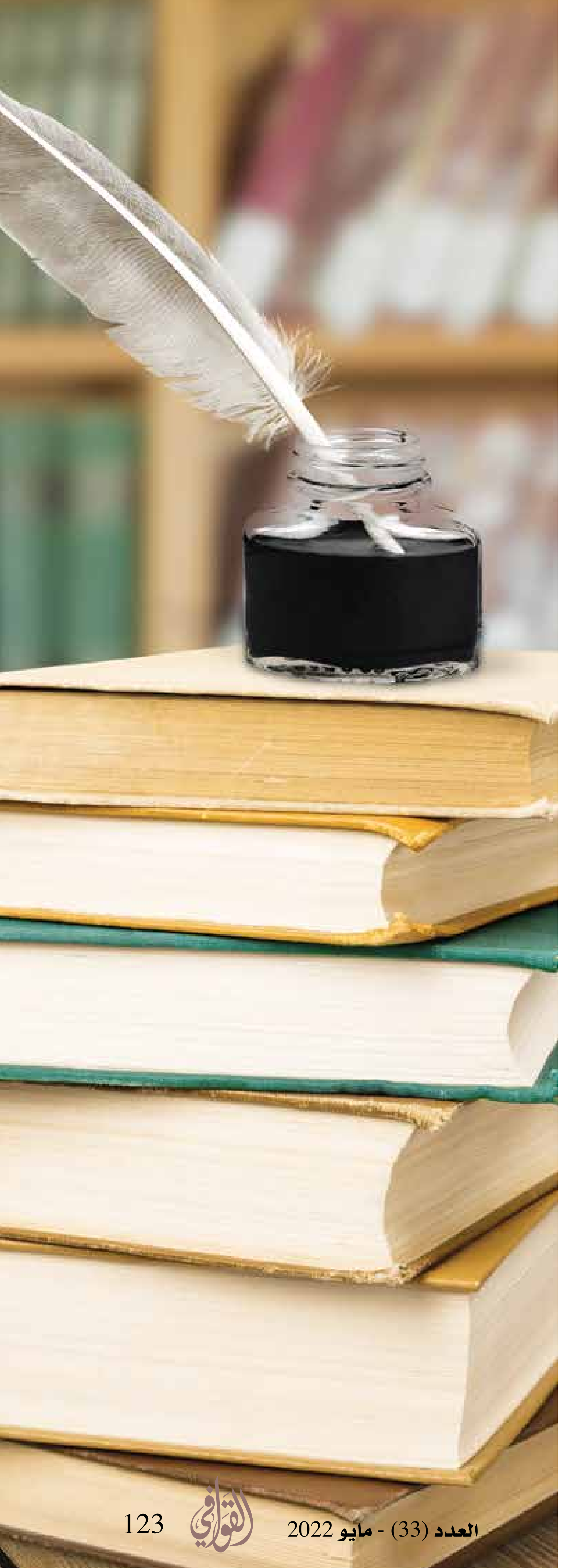

المازني

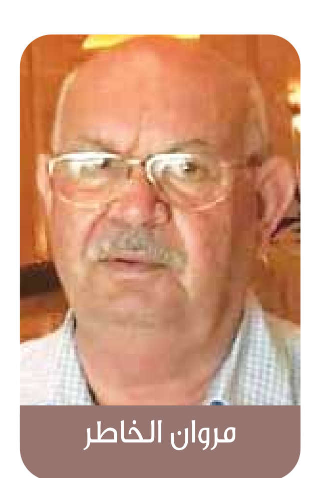

جليلة رضا

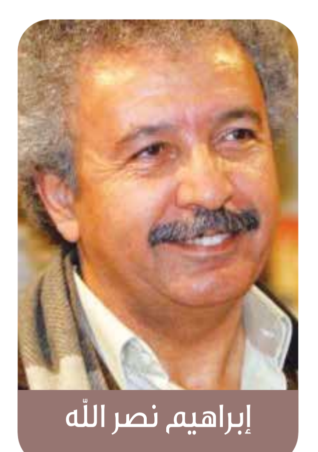
روايات منها: «إبراهيم الكاتب»، و«عَوْدٌ على بَدْء»، و«ثلاثة رجالٍ وامرأة». نقرأ له في قصيدة «سحر الحبّ» معاني شفّافة؛ إذ يُعبّر فيها عن لوعة الحبّ وألمه، فيقف حيران بين البعد والقرب؛ فلا البعد يُسليه عن ذكرها، ولا القرب يُهدّئ نبض فؤاده العاشق، فيقول:

وَإِنّـــي لَأَدْري أنَّ في البُعْـــدِ راحَـــةً
لِمــا تَتَصَبّاهُ العُيــــــونُ السَّـــواحِرُ
وَلكنَّنــــــي جَرَّبْتُ قُـــرْبَكِ وَالنَّـــوى
فَمــا قَـــرَّ لـــي بالٌ ولا جَفَّ حــاجِرُ
وَلا الْتَـــذَّ طَعْمَ القُرْبِ قَلْبـــي وَلا النّوى
وَلا رَقَـــدَتْ في الحـــالتَيْنِ الخواطِـرُ






مروان الخاطر


إبراهيم نصر اللّه

وَمـــا أَنــــا إلّا كَالمُخـــــادِعِ نَفْسَهُ
وَقَدْ يَخْـدَعُ النَّفْسَ الفَتى وَهْوَ شـــاعِرُ
أَأَهْـــواكِ أَمْ أَقْـــــلاكِ وَاللهِ إنَّنـــــي
لَأَجْهَلُ مـــا تُطْـــوى عَلَيْهِ الضَّمـــائِرُ

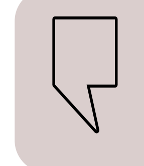
- **جليلة رضا (1915 - 2001):** شاعرة وروائيَّة مصريّة، لها الكثير من الدّواوين منها: «اللّحن الباكي»، و«اللّحن الثّائر»، و«العودة إلى المحارة»...، وقد نالت عن هذا الدّيوان الأخير وسام العلوم والفنون من الطَّبقة الأولى سنة 1983. أصدرت رواية وحيدة بعنوان «تحت شجرة الجمّيز». وقد تميّزت في قصائدها بأسلوبها العذب الرّقيق؛ إذ تعبّر، في قصيدة «سجين القلب»، عن نفسٍ رومانسيّ خالصّ وهي تُخاطب قلبها الَّذي أسره الحبّ، فسرى فيه بعد طول رقاد، فأمست سجينته تُحاصرها الوحدة والشّجون، فتقول:

أيُّها القَلْبُ مـــــا الَّذي فيكَ يَسْــــري
أَيُّ شَـــيْءٍ أَخْفَيْتَهُ عَنْ عُيونــــــي؟
إنَّ وَجْـــــهاً وَراءَ قضْــبانِكَ السّـــو
دِ تَـــــراءى مُـــوَلْــــوِلاً فـــي أَنينِ
مَـــدَّ لي فـــي الدّجـى يدَيْــهِ.. وَهَلْ لي
أَنْ أَمُـــــدَّ اليَدَيْــــنِ لِلْمَسْجـــونِ؟
وَأَنــــا مِثْلُــــهُ سَجيْنَــةُ نَفْســــي
خَلْفَ أَسْوارِ وَحْدَتــــــي وَشُجونــــي
إنَّــهُ الحُـــــبُّ! ذَلِكَ الغِـــرُّ يَصْحـــو
بَعْدَ أنْ غابَ فـــــي سُــباتِ المَنـــونِ
مَلَّ طوْلَ الرّقـــــــادِ فـــي هُوّةِ الأَمْـ
ـــسِ وَعـــافَ السُّــكونَ طَيَّ سُــكوني

- **غازي القصيبيّ (1940 - 2010):** شاعر وأديب وروائيّ ومفكّر سعوديّ مشهور، بدأ مسيرته الأدبيَّة شاعراً مع مجموعته الأولى «أشعار من جزائر اللّؤلؤ» سنة 1960، قبل أن يُتبعها بإنتاج شعريّ غزير. وقد أُطلق

عليه لقب «سندباد الشّعر السّعوديّ الحديث»؛ إذ ترجم بعضاً من قصائده إلى الإنجليزيَّة. ومع ذلك، كان له حضوره المميّز في كتابة الرّواية، فأصدر أكثر من مؤلَّفٍ في هذا الجنس الأدبيّ، ومن ذلك على سبيل المثال: «شقّة الحرّيّة»، و«العصفوريَّة»، و«سعادة السّفير»... وقد تميَّز «القصيبيّ» بغزارة إنتاجه ووفرة كتابته في أكثر من مجالٍ، ويُشير القصيبيّ إلى ذلك في قصيدة «حديقة الغروب» الَّتي كتبها في الخامسة والسّتّين من عمره معبّراً عن تعبه وسأمه من مشقَّة أسفاره ورحلاته الكثيرة، فيقول:

خَمْسٌ وَسُــتّونَ... فــي أَجْفــانِ إِعْصــارِ
أَمــا سَـئِمْتَ ارْتِحــالاً أيُّهــا السّـــاري؟
أَمـــا مَلَلْتَ مِـــنَ الأَسْــــفـــارِ.. ما هَدَأْتْ
إِلّا وَأَلْـــقَتْكَ فـــي وَعْثـــاءِ أَسْفــارِ؟
أَمــا تَعِبْــتَ مِـــنَ الأَعْـــداءِ.. مــا بَرِحوا
يُحــاوِرونَكَ بِالكِبْرِيْـــتِ.. وَالنّـــارِ؟
وَالصَّحْــبُ؟ أَيْـــنَ رِفاقُ العُمْرِ؟ هَلْ بَقِيَتْ
سِـوى ثُمالَـــةِ أَيّـــامٍ.. وَتَذْكـــارِ؟
بَلى! اكْتَفَيْتُ!.. وَأَضْناني السُّـرى! وَشَكا
قَلْبــي العَنــاءَ!.. وَلَكِـنْ تِلْـكَ أَقْـداري

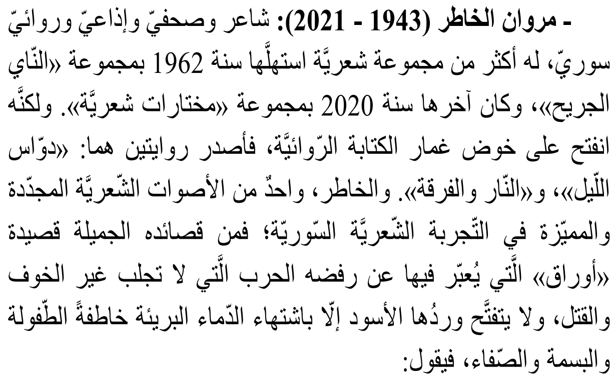


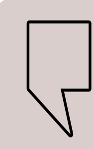
الشّعر ينفتح على الحدس والحلم والتّخييل



- مروان الخاطر (1943 - 2021): شاعر وصحفيّ وإذاعيّ وروائيّ سوريّ، له أكثر من مجموعة شعريَّة استهلَّها سنة 1962 بمجموعة «النّاي الجريح»، وكان آخرها سنة 2020 بمجموعة «مختارات شعريَّة». ولكنَّه انفتح على خوض غمار الكتابة الرّوائيَّة، فأصدر روايتين هما: «دوّاس اللّيل»، و«النّار والفرقة». والخاطر، واحدٌ من الأصوات الشّعريَّة المجدّدة والمميّزة في التّجربة الشّعريَّة السّوريّة؛ فمن قصائده الجميلة قصيدة «أوراق» الَّتي يُعبّر فيها عن رفضه الحرب الَّتي لا تجلب غير الخوف والقتل، ولا يتفتَّح وردُها الأسود إلّا باشتهاء الدّماء البريئة خاطفةً الطّفولة والبسمة والصّفاء، فيقول:

إنَّهُ زَمانٌ
يَقْتِصُ الأَطْفالَ، يَشْتَهي الدِّماءَ طِفْلَةً
يَدْفَعُ عُمْرَهُ لِسَحْقِ الوَرْدِ، وَالبَراءَهْ
يُفَتّشُ المَدارسَ، الحَقائِبَ
الوُجوهَ، بَسْمَةَ الوُجوهِ لَحْظَةَ الصَّفاءْ
يَسْتَوْقِفُ النِّساءْ
وَيَدْخُلُ الأَرحامَ، يَقْبِضُ الأَجِنَّةَ انْتَهَتْ
فاتِحَةُ العِشْقِ انْتَهَتْ
وَالوَصْلُ في لَيْلى حَديْثٌ مُسْتَعادٌ بالِغُ الرَّداءَهْ
فَلْتَفْتَحي عَيْنَيْكِ، مَلَّ مِنْ دِمائِنا
وَقَبْلَ أَنْ نَموْتَ فيهِ أَعْلَنَ المُذيْعُ مَوْتَنا
وَواصَلَ الغِناءْ

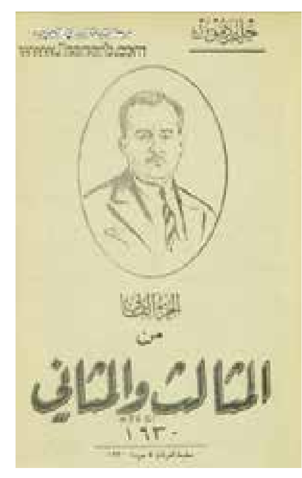


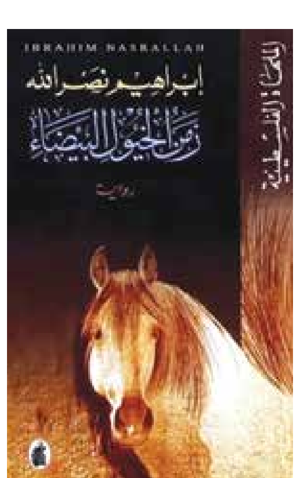


المبدعون العرب دخلوا ميدانها من أجل التجريب

- إبراهيم نصر الله (1954 - ...): شاعر وروائيّ وكاتب أردنيّ من أصل فلسطينيّ، نجح في المزاوجة بين الإبداع الشّعريّ والإبداع الرّوائيّ أيّما نجاحٍ؛ إذ نال جوائز عدَّة في المجالين معاً، منها: جائزة عرار للشّعر سنة 1991، وجائزة سلطان العويس للشّعر العربيّ سنة 1997، وجائزة «كتارا» للرّواية العربيَّة في موسمين: سنة 2016 عن روايته «أرواح كليمنجارو»، وسنة 2020 عن روايته «دبّابة تحت شجرة عيد الميلاد»،



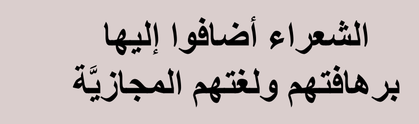





كريم معتوق في مهرجان الشارقة للشعر العربي 2018

والجائزة العالميَّة للرّواية العربيَّة (بوكر) سنة 2018 عن روايته «حرب الكلب الثّانية». وقد ارتبط جميع نتاجه الشّعريّ والرّوائيّ بوطنه الأم (فلسطين)، فنقرأ في قصيدة «في حديثها عن أبي» أنَّ الشّاعر يُجري كلامَهُ الشّعريّ على لسان أمّه لتُحدّثه عن أبيه؛ فكلّما حدَّثته عن كلماته، وصوته، واسمه، وعن خصاله: عطفه، تعبه، وإيمانه، عزّة نفسه على الرّغم من فقره، أدرك أنَّ شعره ما هو إلّا امتداد لحياة أبيه في الكفاح ومحاولته ترويض الموت والشّقاء، فيقول:

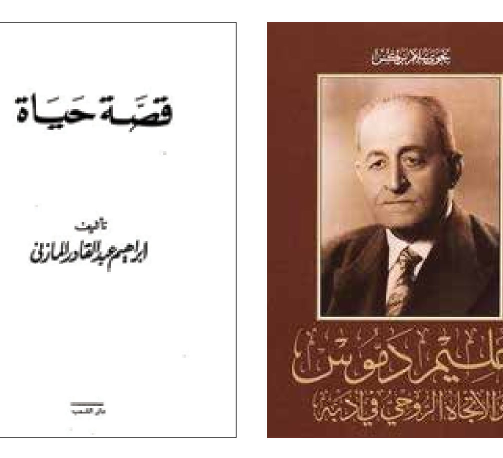
كُلَّما حَدَّثَتْني عَنْ شَمْسِهِ
عَنْ عَصافيرَ تَخْفُقُ في إسْمِهِ
وَعَنْ رَحْمَةِ اللهِ تَجْري كَما النَّهْرِ في دَمِهِ
كُلَّما حَدَّثَتْني عَنْ خَوْفِهِ كَجَناحٍ عَلَيْنا
وَعَنْ حُلْمِهِ بِصَباحٍ أَليفٍ تَناثَرَ،
نَدْعوهُ، يَأْتي، كَما الطَّيْرُ سَعْياً إِلَيْنا
كُلَّما حَدَّثَتْني عَنْ شَجَرٍ يَتَدَفَّقُ كَالماءِ
في كَلِماتِهْ
وَعَنْ صَوْتِهِ
وَشُموخِ صَلاتِهْ
وَعَنْ زُهوهِ آخِرَ العُمْرِ سِرّاً
بِأَقْمارِ أَبْنائِهِ وَبَناتِهْ
كُلَّما حَدَّثَتْني عَنْ ذَلِكَ البَحْرِ في صَدْرِهِ
وَعَنْ عِزَّةِ النَّخْلِ في فَقْرِهِ
وَعَنْ حُلْمِهِ بِثَلاثينَ حَرْفاً يُرَتِّبُها
كَيْ يُسَطِّرَ أَسْماءَنا مِثْلَ طِفْلٍ بِدَفْتَرِهِ
خِلْتُ أَنَّ أَبي كانَ يَكْتُبُ شِعْراً
وَلَسْنا سِوى بَعْضِ أَشْعارِهِ



الشعراء أضافوا إليها برهافتهم ولغتهم المجازيّة

- كريم معتوق المرزوقيّ (1963 - ....): شاعر وروائيّ وإعلاميّ وكاتب إماراتيّ، أصدر الكثير من المجموعات الشّعريَّة بدءاً من سنة 1988، منها: «طوَّقتني»، و«طفولة»، و«رحلة الأيّام السّبعة»، و«أعصاب السّكّر»... وهذه الأخيرة أصدرتها أكاديميَّة الشّعر بعد تربُّعه على عرش إمارة الشّعر في الدّورة الأولى من مسابقة «أمير الشّعراء» في مدينة أبو ظبي سنة 2007. أمّا في الرّواية فقد أصدر روايتين حتّى الآن «حدث في إسطنبول»، و«رحلة ابن الخراز». ومع ذلك يرى معتوق، في إحدى مقابلاته، أنَّه يجد نفسه في القصيدة فقط. ولئن عرّجنا على بعض قصائده، نقف عند قصيدة «طفلة» الَّتي يسترجع فيها ذكرى ذلك الصّبيّ الَّذي أحبّ البنت الأجمل بين أترابها، ويستذكر الحكايات والبسمات بينهما، ولكنَّه اليوم صار أباً وهي أمّاً، وشاءت الأقدار أن يلتقيها في اجتماع الأمّهات، فيقول بأسلوب سلسٍ جذّاب:

قد أحبَّتْني صغيراً
وهي الأجملُ من بينِ البناتْ
لم نقلْ شيئاً عن الحبِّ
ولم نرسمْ حرفينِ بجدرانِ البيوتِ
الواهياتْ
ما تبادلْنا الهدايا



حينَ أدْمَنّا الحكايا
وزرعْنا البسماتْ
كانت الأعذبَ
هل قلتُ نسيتُ الاسمَ..؟
لم أنسَ
ولكنَّني أُداريهِ كأحلى الذّكرياتْ
وكبرْتُ الآنَ قد صرْتُ أباً
بعد أن ألقيتُ أحمالي على ركبِ الحياةْ
ودخلنا دورةَ العمر دخلناها معاً
مرَّةً حلواً وأخرى نائباتْ
أمسِ بالصّدفةِ من بعد سنينٍ
عابراتٍ تاركاتٍ آخذاتْ
قد رأيْتُ الطّفلةَ الأجمل من بين البناتْ
تحضرُ الآنَ اجتماع الأمّهاتْ

- محمّد قراطاس المهريّ: شاعر وروائيّ عُمانيّ، بدأ مسيرته الإبداعيَّة شاعراً بإصداره مجموعته الشّعريَّة الأولى «ما ورثه الضَّوء» سنة 2013، ثمّ أتبعها بمجموعتين أخريين، وبإصدار روايته الأولى «الأعتاب» سنة 2016. نقرأ للشّاعر، في قصيدة «وطن السّيوف»، أجلى معاني الصّدق والحبّ والوفاء لوطنه عُمان، وأهله؛ إذ يُركّز فيها على جمال بلده، وعلى صبر أهله وتوادّهم وكرمهم وعطائهم، فيقول:

مُــذْ كانَ.. أَجْــرى لِلْحَياةِ جَمالَــها
مــا بَيْــنَ أَضْلُعِــــها وَبَيْــنَ ردائِــهِ
مُذْ صــاحَ نــوحٌ يــا بُنــيَّ وَلا تَكُنْ
لَــمْ يَدْهَــمِ الطّوْفــانُ وَجْــهَ حَيائِــهِ
وَطَني عُمــانُ وَلَيْــسَ شَــعْباً غَيْرَهُمْ
يَتوارَثُــونَ الصَّبْــرَ عَــنْ آبائِــهِ
يَتَقاسَمــونَ الــوُدَّ تَحْــتَ لَهــيبِهِ
ظِــلّاً وَيَجْتَرِحــوْنَ مِــنْ رَمْضــائِهِ
فَإِذا اسْتَفــاضَ اليَـــمُّ مِنْ خَيْراتِهِ
لَــمْ يَمْنَعــوا الــوُرّادَ عَــنْ آلائِــهِ

بيت القصيد



محمد العموش
الأردن

إلى أفياءِ أحلامي أوَيتُ
أنا رَجُلٌ مِنِ الدنيا اكْتَفيتُ

نَهاني عنْ نبيذِ اليأسِ شعري
وَذَكّرني بِقَدري فانتَهَيتُ

أنا لمْ أبْكِ مِنْ عَجْزٍ ولكنْ
على صَدرٍ يليقُ بنا بَكَيْتُ

أنا لمْ تَدْعُني الأحزانُ يوماً
لِحَفلتِها، ولكنّي أتيتُ

على حَدِّ الخريفِ وَقَفتُ عُرْيَاً
وأدرَكَني اخضِرارُكِ فاكْتَسَيتُ

وقَدْ أنقَذْتِني مِنْ بَرْدِ عُمري
وفاجَأني الرّبيعُ وما ذَوَيتُ

رَأوْكِ حبيبتي في كُلِّ بَيتٍ
وقافيةٍ، ولكنِّي نَفَيتُ

أنا ما ذُقتُ بِنتَ الدَنِّ يوماً
ولكنّي شَربتُكِ فانتَشَيتُ

مَعَ الزّهادِ كم أرسَلتُ قلبي
رَوَيْتُ بهم فُيُوضاً وارتَوَيتُ

معَ ابنِ الجَهمِ كَمْ مَالأتُ طَرْفي
وأغْوَتني الرُّصافةُ فارتَعَيتُ

تبرّجتِ الحَياةُ بغيرِ شِعرٍ
ولكنّي إلى شِعرٍ سَعيتُ

قَصائدُنا السّنينُ، وراوَدَتْني
على التَطويلِ، لكنّي أبَيْتُ

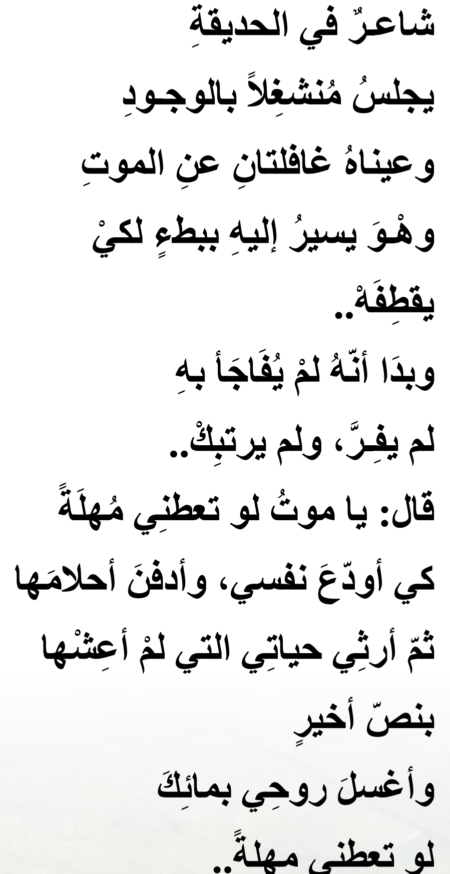
أنا بيتُ القَصيدِ الفَرْدُ وَحدي
حَوَيتُ مِنَ العجائبِ ما حَويتُ

وَرُبّ قَصيدةٍ تِسعُون بَيْتاً
ولمْ يَعلَقْ بِسَمْعِ الدّهرِ بَيتُ

موت مختلف



محمد الساق
المغرب



شاعرٌ في الحديقةِ
يجلسُ مُنشغِلاً بالوجودِ
وعيناهُ غافلتانِ عنِ الموتِ
وهْوَ يسيرُ إليهِ ببطءٍ لكيْ
يقطِفَهْ..
وبدَا أنّهُ لمْ يُفَاجَأ بهِ
لم يفِرَّ، ولم يرتبِكْ..
قال: يا موتُ لو تعطنِي مُهلَةً
كي أودّعَ نفسي، وأدفنَ أحلامَها
ثمّ أرثِي حياتِي التي لمْ أعِشْها
بنصّ أخيرِ
وأغسلَ روحِي بمائِكَ
لو تعطني مهلةً..
فأبى الموتُ أنْ يُسعفَهْ..!

يائساً راح يتلُو قصيدتَهُ اللّمْ تزلْ
طفلةً
راثياً نفسَهُ..
والحياةَ التّي أسلمَتْهُ إلى حتْفِهِ
مُرغماً،
والبلادَ التي حالفَتْ
ضدّهُ كلّ منفى
وكلّ المرايا التي أنْكرَتْ وجهَهُ..
فجأةً يختفي الموتُ والروحُ
تزهرُ أوراقُها من جديدٍ..
فيسمعُ خلفَ الحديقةِ صوتاً يقولُ:
وقد أدركَ الآنَ أسرارَهُ
هو الشعرُ
لا بدّ أنْ أُنصِفَهْ..

عتبُ مقفّى

مؤيد نجرس
العراق

ستُخطئُ عصفورَ الصغارِ الكمائنُ
و تُبدي اعتذاراً للصباحِ الضغائنُ
ويندلعُ الموالُ من شَجو ريفنا
فتخشعُ جرّاءَ الغناءِ الأماكنُ
ويُولدُ من أقصى الحكاياتِ شاعرٌ
فتأتيهِ من كل الجهاتِ المدائنُ
يُزيلُ غُبارَ الوقتِ عن وجهِ سجنِنا
لينمو على الأقفال عذرٌ مُهادنُ
فيا وطنَ الأحزانِ للآنَ أُخوتي
بغيهبِ أحلامِ الإيابِ رهائنُ
شموعُك تستجدي الفناراتِ كلّما
بَدوتَ بلا ضوءٍ وَسَعيُك داكنُ
تلكأ يا ربي هديلُ حمامِنا
لذلك غصتْ بالأذانِ المآذنُ
على موقدِ الأعيادِ يُطهى ابتسامُنا
وحزنُ دموعِ الأرضِ للآنَ ساخنُ
وكان دعاءُ الأم وحياً مطمئِناً
وصوتُ أبي من غامرِالطينِ آمنُ
سينهمرُ الغيمُ الحريريُّ نَحونا
ويخجلُ ماءٌ آخرَ الليلِ آسنُ
فكلُّ انصهارِ المتعبينَ بأرضِهِمْ
نبوءةُ شجوٍ بالبساتينِ كامنُ
سيلتئمُ الإبحارُ في شرخِ بَحرِنا
وتُوقدُ شمعاً للضفافِ السفائنُ

فرّقتُ ذاتي



الشاذلي القرواشي
تونس

إنّـي هُنـا فـي تُخـوم الحَـرْفِ مُشْـتَعِلٌ
مُـذْ لاحَ جِسْـمِي إلـى الماشـين نـارَ قِرى
طَوَّفْـتُ بالدّمـع حتّـى ضَـمَّنِي وَلَـهٌ
فغبـتُ في بَاحَـةِ الْأَرْوَاحِ مُسْـتَتِـرا
ولَـوْ قـدرتُ.. لَمَـاء الْغَـيْبِ جِئْتُ بِهِ
لكـنّ رَسْمِي عـلى خَـدِّ الثّـرى أثرا
وهذه الـرّوحُ فـوق النّـار أرغـفـةٌ
فَـرَّقْـتُ ذَاتِـي عـلى الأيْـتام والفُقرا
ومُـذْ أتَـانِي هُتَـافُ الكـون أصْدِيَةً
وقفتُ عنـدَ حُـدودِ الصّمـتِ مُنْتظـرا
يـا أيّهـا الغيـبُ قـلْ لـي سـرَّ أُحْجِيَتـي
هـل جئتَ فَـردا تُـرى أم جِيءَ بِـي زُمرا؟
وأنتِ في هـيجـان الشّمع مُـزهـرةٌ
لَـمْ تَبْرَحـي النّـفْسَ والألـوانَ والوترا
أدخلتنـي مـن سُجـوف اللّيـل أخيلـةً
هل كنتُ فـي الطّيـن أم كنتُ الـذي انْدَثَرَا؟
كـمْ لاحَ لي في انْهِمَارِ الشَّـوْقِ بَـرْقُ رُؤَى
هـل كانَ وجهُـكِ أم دمعـي الـذي انهمرا؟
طفليْـن كنّـا وعيـنُ اللّيـل تَحْرُسُـنَا
وكان عمْـري علـى الأيّـام قـد نُحـرا
وكنـتُ خَلْـفَ جِـدَارِ الْوَقْـتِ مُنكفئـا
عَنِّـي وَعَـنْ لَحَـظِ الرّيحـان إذْ نَظَـرَا
ناولتـنـي الآن والإبّـان فـي قَـدَحٍ
وقلـتِ لـي خُـذ جِمَـاحَ الشّـمع مُسْـتَعِرَا
وكنتُ طيفـا وعينُ الوَهْـم رَاعِـيَـةٌ
يا أيّهَا اللّيْلُ هـل سوّيـتَـني بشـرا
أكـلّما عَسْعَسَـتْ فـي الـذّات أجوبـةٌ
كان السّـؤال علـى الأعتـاب منتظـرا
مـا كنـتُ أرسـمه.. هـل محـضُ أخيلـةٍ
أم الْحَـقِيـقَـةُ فِي وَعْـيِ الـذِي بصرا؟
تَنْرَجَسَـتْ فَـوْقَ سَـطْحِ الْمَـاءِ صُورَتُهَـا
وَبُؤْبُـؤٌ كـم بـدا فـي الجفـنِ مُنْحَصِرَا
أرجعـتُ ذاتي إلـى الفُـرْشَـاةِ أسْـألُها
صـوّرتِ لي الوهـم أم صوّرتِ لـي القَمَرا؟
أرتـابُ فـي الجُـبّ... والأقمـارُ ساجدةٌ
مازلـتُ أخْطُـو علـى حبـلِ الـرُّؤى حَذِرا
يـا أيّهـا الذّئـبُ هـذي الأرضُ مِصْيدتـي
فـكُنْ حَبِيـبِي فَـإنّ الـرَّبْعَ قـدْ قَفَـرَا
ولـي بِحُضْنِ وُرُودِ الكَـوْنِ شَـاعِـرَةٌ
خُذْنِـي إليهـا إذا مـا المـوتُ قـد حَضَـرَا

النقش
في جدارية القصيدة

حديث الشعر

القصيدة لا تأبه للرّيح ولا يهمّها أن تصل إلى آخر نقطة في هذا الفضاء؛ فالمهمّ أن أصل إلى نفسي وأفتح صندوق الحكايات وأرافق الشعر وأتأمل يدي وهي تعزف.. ثم أختفي مع دوائر الكلمات وهي تتسابق وتمضي خلف السّواحل؛ فالشعر لا يغرق أبداً، لأنه يكتشف ويتّحد مع الموج ويحفر بعمق في جذور المعنى، فقد جرّبت أن أكون مع الشعر، وأذهب معه إلى الماضي وأعود إلى الحاضر؛ فهو يريني المستقبل أيضاً بعينيه النافذتين، وقراءاته التي تصيب غالباً.

إنني أبحث عن جزيرة لا يتكلّم أهلها سوى الشعر، وطعامها من الشعر، ومساؤها شعر وأشجارها بلون الشعر؛ هذه المدينة تخيّلتها كثيراً في أحلامي، فهي ثروة كل شاعر يعيش على الحلم، فإنهم يقولون إن مثل هذه المدينة يرى فيها الشاعر العجب، فإذا نادى على القصائد التي تسكن الجبال أتته في طرفة عَيْن، ومن قبل أن يقوم من مكانه، فتلك هي الحياة المكتظّة بالشعر وتفيض باللؤلؤ، يقول الشافعي:

أمْطِـــري لُـــؤْلـــؤاً جِبـــالَ سَرَنْـــــدي
ـــــبَ وفيضـــي آبـــارَ تكـــرورَ تِبْـرا
أنـــا إنْ عِشْـــــتُ لَسْـــــتُ أُعْــــدَمُ قوتاً
وإذا مُـــتُّ لَسْـــــتُ أُعْـــدَمُ قَبْـــرا

هكذا يحدّثني الشعر لأنه يرفعني إلى قمة شاسعة ألتقي عبرها الشعرَ والشعراءَ، وأتماهى معهم في الخيال، وأنا قاصد النقش في جدارية القصيدة التي تجعل الشعر يحسّ بأنه يصعد في تواضع مهما تكن القصيدة متعالية، تقول كلاماً فوق طاقة البشر، وتقول ما لا يحتمل، لكن هذا دليل على أن قلوب الشعراء طيّبة ليس لهم سوى القول. ولولا أن الله رزقهم نهراً من الجمال لكانت حياتهم هباءً منثوراً؛ فالشعر فندق الذين لا يملكون سوى الكلمة، والكلمة يمكن أن تكون طائراً يطير بجناحين أو ثلاثة في أي طريق، فلا تصدّقوا الشعراء لأنهم خياليون أكثر ممّا يجب، ووحيدون أكثر ممّا يجب، لكنهم جميعاً مثل السّحاب الأبيض، كلما نظرت إليهم وتأملت أحوالهم، فستجدهم أصحاب قلوبٍ بيضٍ مثل السّحاب تماماً، ومثل القصيدة الطيّبة.

محمد عبدالله البريكي


القوافي
www.sdc.gov.ae
6 291100 753918